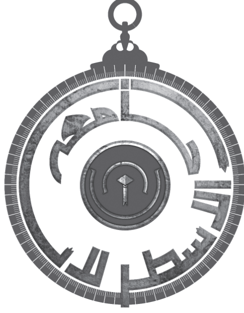




مجلّة إسْلاميَّة علميَّة محكَّمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

(تصدر كل ستة أشهر مؤقتًا)

السنة الرابعة عشرة العدد الثلاثون

٢٧ شوال ١٤٤٠هـ.

٢٠١٩/٦/٣٠ م.

المراسلات: لبنان - طرابلس ص.ب 208

تلفاكس: 009616471788

:بريد إلكتروني

albahs_alalmi@hotmail.com

الحوالات المصرفية باسم

مجلة البحث العلمي الإسلامي

بنك البركة - لبنان - طرابلس

حساب رقم: *13903*

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر في المجلة

إتاحة في الفرصة للإفادة من أبحاث العلماء والباحثين، فإن إدارة المجلة ترحب بنشر الأبحاث وفق الشروط التالية:

١ - أن يكون البحث متخصصاً في مسألة من المسائل العلمية، أو قضية من القضايا الإسلامية النازلة.

٢ - أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي، وفق قواعد وأسس البحث العلمي، مع التوثيق وعزو المصادر، وتخريج الآيات والأحاديث.

٣ - أن يكون البحث جديداً غير منشور سابقاً، ولا مستلًا من رسالة الباحث العالمية - الماجستير -، أو العالمية العالية - الدكتوراه -.

٤ - أن لا تقل عدد صفحات البحث عن ١٦ صفحة، ولا تزيد عن ٤٨ من حجم الورق (A4) مقاس الكلمة (١٦).

٥ - إرسال البحث على عنوان المجلة في قرص مدمج على برنامج: (Microsoft-Word). وبخط: (Traditional Arabic).

٦ - إرفاق ملخص عن البحث باللغة الإنكليزية، ولا يزيد عن صفحتين.

٧ - إرفاق نسخة عن سيرة الباحث الذاتية، مع كتابة العنوان بالتفصيل.

٨ - يخضع البحث قبل نشره للتحكيم، ويتمّ إبلاغ الباحث بالنتيجة.

ملاحظات

١ - لا يلزم من تسليم البحث وإيصاله إلى إدارة المجلة اعتماده ونشره.

٢ - لا تلتزم إدارة المجلة بإعادة البحث الذي لم ينشر إلى كاتبه.

٣ - إن نشر البحث في مجلة البحث العلمي، لا يعني بالضرورة تبنِّيه، ويبقى تعبيراً عن رأي كاتبه.

مجلة البحث العلمي الإسلامي

العدد الحادي والثلاثون، السنة الرابعة عشرة ٢٧ شوال ١٤٤٠هـ. - الموافق ٢٠١٩/٦/٣٠ م.

المحتويات

العدد الحادي والثلاثون، السنة الرابعة عشرة ٢٧ شوال ١٤٤٠هـ - الموافق ٣٠/٦/٢٠١٩م.

الافتتاحية

بقلم: رئيس التحرير

الحمـد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فمع دخول المجلة عامها الرابع عشر، يسر هيئة تحرير مجلة البحث العلمـي الإسلامي؛ أن تؤكد على استمرارهـا في رسالتها العلمية، والقيام بدورها فـي خدمة البحث العلمـي، والباحثين، وإبراز جهـود المؤسسات الإسلامية في خدمة البحث، والعلم ، والدعوة، ومنها:

إبراز معالم الأمن الفكري من المصادر الشرعية ، وتأصيل مفاهيم الوسطيـة والاعتدال فـي الإسلام. وفي هذا الإطار، ننشـر في هذا العدد الأبحاث التالية:

١- آيات الفوز العظيم من سورة التوبة ، وبيان تفسيرها وما تتضمنه من فوائد.

٢- إبـراز بعض جهود المملكة العربية السعودية في العناية بالقرآن والسنـة، وهي جهـود كبيرة وكثيرة ، يصعـب حصرها في بحث محكَّـم أو مجلـة محكَّمة، هـذه الجهود التي تتجلّـى في مناشط وزارة الشـؤون الإسلامية، والجامعـات الإسلامية، ومخرجاتها التعليميـة ، ومراكز تحفيظ القـرآن الكريم المنتشرة على كامل

الأراضـي السعوديـة، وفي المسابقـة الدوليـة ، ومطبعة القرآن الكريم ومراكز البحث العلمي، والمؤتمرات والندوات ، وغيرها.

٣- بيان مفهوم الوسطية والاعتدال في الإسلام، حيث يعتبر تحرير المفهـوم عاملاً مهمـاً في إبـراز المعاني الصحيحـة والتصور السليم عن الإسلام وأحكامه العلمية والعملية.

٤- الإعلان عـن المؤتمر الدولي: معالم الأمـن الفكري عند الإمام البخـاري في صحيحه. الـذي تنظمه أكاديميـة الإمام البخاري الدوليـة ، بالتعـاون مع كلية الشريعة والدراسـات الإسلامية في جامعـة الاسطـرلاب الدولية، ويرعـاه صاحـب السماحة مفتي الجمهوريـة اللبنانية الشيـخ القاضي عبد اللطيـف دريان وفقه الله.

ونحن إذ ننشر هذا العدد الواحد والثلاثين ، نتمنى على المؤسسات الإسلاميـة الرسميـة والخاصة ، أن تزيد من اهتمامهـا بالبحث العلمي ، والباحثيـن ، وأدوات البحـث العلمي ووسائله ، ليرتقـي البحث العلمي إلى المستـوى المطلـوب ، ويتم تفعيل العمل بنتائجـه وتوصياته ، بغية التنمية والتقدم والازدهار في عالمنا الإسلامي.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



البحوث والدراسات



I. A. U

جامعة الاسطرلاب الدولية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مجلة
البحث العلمي الإسلامي

مجلـة إسلاميَّـة علميَّـة مُحكَّمـة تعنـى بالبحـوث والدراسـات الإسلاميـة
تصدر كل ستة أشهر مؤقتاً - لبنان - طرابلس

إعداد: د. أحمد محمد حمود عبيد
أستاذ مشارك جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

آيات الفوز العظيم من سورة التوبة
(دراسة دعوية)

مستخلص البحث

الحمد للّه وبعد:

فقد تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الآيات الكريمة (٧٢، ١٠٠، ١١١)، من سورة التوبة، وقسمته إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول والثاني في كل واحد ثلاثة مباحث، والفصل الثالث في أربعة مباحث، وعرّفت بالسورة، وسبب التسمية، وفضلها، ومحور مواضيعها ومقاصدها، وبيّنت أهم أقوال علماء التفسير من الصحابة ومَنْ بعدهم، والمعنى المجمل، والدروس والعبر المستفادة.

ومحور البحث متعلق بالفوز العظيم الذي أساسه رضا الله تعالى، وكيف يحصّله المرء، هذا الرضا الذي يعقبه كل خير، وفي الآخرة جناتٌ تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة للمقربين، في جنة عدن، جنة الفردوس، كما يتبيّن في الآية ٧٢ من السورة.

ويبيّن البحث شيئا من مكانة السابقين الأولين رضي الله عنهم، من خلال الآية ١٠٠ من السورة -الذين أثبت الله تعالى رضاه عنهم – وشيئا من أعمالهم التي رُفعوا بها، وكيف أن التأسي بهم هو صراط سويّ إلى الفوز العظيم، مع بيان شيء من قول النبي ﷺ وكبارِ الصحابة في ذلك، وأن حياتهم بَركَةٌ على الأمة، بل على سائر أهل الأرض، وذهابهم حَسْرَةٌ وغُمّة؛ فبذهابهم ذهابُ خيرٍ كثير وعلمٍ وفير.

والآية ١١١ من السورة تبيّن صفقتين جعلهما الله لعباده المؤمنين، وَوَعْدَهُ لمن عَمِلَ بهما كما أَمَرَ أن يجعله من الفائزين فوزا عظيما.

الكلمات المفتاحية: الفوز العظيم، سورة التوبة، تفسير، دروس وعبر، فضل الصحابة، الأسوة الحسنة.

Abstract

This paper analyzes three verses (72, 100, 111) of Surat At-Tawbah. The research features three chapters, each containing three sections except chapter 3 which incorporates four sections.

A description of Surat At-Tawbah was presented in addition to the reasons of its naming. Also, interpretations of the verses, by prophet's companions and Mufassireen, were introduced along with the morals and lessons deduced from these verses.

The research focuses on the "great success" which is the pleasure of Allah, and the methods of achieving it. Consequently, the pleasure of Allah is ensued by welfare in this life and afterlife, as demonstrated by verse 72.

Furthermore, the paper highlights on the position of first generation of the prophet's companions, who received Allah's pleasure as explained in verse 100, and enumerates some of their deeds which revered them. This was further emphasized by Hadith and narrations of major companions. As a result, one can achieve great success by following their lead and imitating their deeds.

Verse 111 delineates arrangements that Allah made with his faithful worshippers and the rewards Allah promised to whom satisfy the conditions of the arrangements.

Keywords: The great success, Surat At-Tawbah, Tafseer, Morals & Lessons, Position of companions, Excellent pattern.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على قائد الغر المحجلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الفوز العظيم هو فوز الآخرة، والفوز بالآخرة يحتاج إلى عمل صالح وحسن ظن بالله، وخصال أهل الفوز العظيم: إيمان صادق، بطاعة لله ورسوله، وحسن اتباع لسبيل المؤمنين، وجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال؛ فمن فعل ذلك فقد وجب له الربح.

وأمثل سبيل لكسب هذا الفوز أن ينظر المرء إلى أحوال الفائزين، فيقتبس من نورهم، ويعمل بعملهم ما استطاع، من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وفي سورة التوبة يبيّن الله مَن أصحاب هذا الفوز العظيم، فحريّ أن نسلط الضوء على ذلك ونتدبّره.

أهمية البحث وسبب اختياره

للفوز طعمه وأثره في نفس الإنسان؛ لذلك يسعى كثير من الناس إلى هذا الوصف – أن يكون فائـزا – وكم من الناس يبذلـون الكثير من أجل الحصول على شهـرة أو لقب يرفع مكانتهم عند الناس في الدنيا، فكيف بهذا الفوز الذي سمّى الله حائزه بأنه فائز فوزا عظيما؟

ولأهميــة هــذا الفوز، فقد ذُكِر في كتــاب الله في ثلاثة عشر موضعا، فــي عشر سور بيّنات؛ النساء، والمائدة، والتوبة، ويونس، والصافات، وغافر، والدخان، والحديد، والصف، والتغابن.

وعندمــا يَعِد الله عبــادَه المؤمنين بالفوز العظيــم: اشرأبّت له الأعنــاق، وابتدرته الأبصار ترجـو الظفر به متسائلة: ما سبيلــه؟؛ فثمرته الزحزحة عن النار، والبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ومن هنا كان اختياري للبحث.

الدراسات السابقة

لــم أقــف على بحث علمــيّ كُتب فيما اختــرت الكتابة فيــه، إلا كتابا بعنــوان: «الفوز العظيم والخســران المبيــن في ضوء القــرآن والسنــة» للشيخ سعيد بن علــي القحطانــي، والكتاب عبارة عــن مقارنة بين نعيــم الجنة، وعذاب النار، لكن موضــوع بحثي أتعرّض فيه لآيــات الفوز العظيم مــن ســورة التوبة فقط، وبيان أقوال أهــل العلم فيها، مع التركيز علــى الجانب الدعوي من خلال استنباط الدروس والعبر من الآيات، وربطها بالأحاديث وآثار الصحابة، مما يهمّ الدعاة على وجه الخصوص، وغيرهم بالعموم.

منهج البحث وأسلوبه

في تناولي لموضوعات هذا البحث:

- استقراءٌ، من خلال أقوال علماء التفسير، من المتقدمين والمتأخرين.
- تحليلٌ، من خلال بذل الوسع فيما تدعو إليه الآية وما ترمي إليه.
- استنباطاتٌ دعوية يحتاجها كل داعية، من الآيات وما تعلق بها من الأحاديث والآثار.
- رتبت أقوال المفسرين على أقدمهم وفاة.
- فــي أكثــر الأحايين أقطّــع بعض الاستطــرادات مــن كلام المفسّر بين الآيــة والآية؛ لآتي بخلاصة قوله.

- خرّجت الأحاديث والآثار الواردة في صلب البحث، فما كان في أحد الصحيحين أحلت إليه في الهامش بالرقم دون ذكر إسناده، وما كان ليس منهما ذكرت إسناده أو مَدَارَ إسناده الذي صح فيه. ولم أحتجّ إلا بالصحيح أو ما يشبه الصحيح. واعتمدت في تخريج الأحاديث وآثار الصحابة على ذكر المصدر مع رقمها وبيان درجة صحتها، والاقتصار في تخريجها على ما تتم به الفائدة.

- ولا ريب في الالتزام بذكر سائر المصادر مع أرقام صفحاتها، والاجتهاد في اختيار أحسن طبعاتها.

- والآيات القرآنية غير التي نتناول تفسيرها تُدرج سورها وأرقام آياتها في صلب البحث لا في الهامش.

خطة البحث

يتكون البحث من مستخلص، ومقدمة، ويعقبها: أهمية البحث وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وأسلوبه، وتمهيد، وثلاثة فصول.

والتمهيد يشمل:

أ- التعريف بالسورة.

ب- سبب التسمية.

ج- تناسب السورة مع التي قبلها.

د- محور السورة.

هـ- مقاصدها.

و- تعريف كلمة (الفوز).

الفصل الأول قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (التوبة ٧٢).

المبحث الأول: أهم أقوال علماء التفسير.

المبحث الثاني: المعنى المجمل للآية.

المبحث الثالث: الدروس والعبر المستفادة.

الفصل الثاني قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ﭐتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التوبة ١٠٠).

المبحث الأول: أهم أقوال علماء التفسير.

المبحث الثاني: المعنى المجمل للآية.

المبحث الثالث: الدروس والعبر المستفادة.

ملاحظة: لم أُدرج الآية (٨٩)، واكتفيت بهذه لاحتوائها معانيها.

الفصل الثالث قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ (التوبة ١١١).

المبحث الأول: سبب النزول.

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير.

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية.

المبحث الرابع: الدروس والعبر المستفادة.

ثم الخاتمة والتوصيات، ثم المصادر والمراجع، ثم فهرست الموضوعات.

التمهيد

أ- التعريف بالسورة

سورة التوبة مدنية بالاتفاق، عدد آياتها: مائة وتسع وعشرون في الكوفي، وثلاثون في عدّ الباقين. وكَلِمها: ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. وحروفها: عشرة آلاف وثماني مائة وسبعة وثمانون حرفا.[١]

ترتيبها: التاسع في المصحف العثماني، تقع في الجزء الحادي عشر منه، نزلت بعد سورة الفتح، دوّنت بعد الأنفال وقبل يونس.[٢]

(١) البيان في عد آي القرآن للداني ص١٦٠. وانظر ((القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز)) للمخللاتي، ص١٩٩، وانظر «بصائر ذوي التمييز» (٢٢٧/١). للفيروزآبادي.

(٢) التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (١٨٧/٣).

غابت البسملة عن سورة التوبة في سابقة ليس لها نظير في سور القرآن، ومما قيل في تعليل ذلك: أن البسملة أمان ورحمة، والسورة نزلت لرفع الأمن بالسيف والسخط على المنافقين والمشركين؛ لأنهم قوم لا أمان لهم ولا عهد، ولا يُؤمَن مِنْ غدْرِهم، وليس لهم إلا المقارعة بالسيف.[(١)]

وهي من آخر السور نزولا في القرآن الكريم، قال البَراءُ بن عازب: «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦) وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ»[(٢)].

ب- سبب التسمية

تعد أكثر السور القرآنية تسمية؛ فمنها: ((التوبة)) لتوبة الله على المؤمنين فيها ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ وعلى الثلاثة[(٣)] الذين تخلفوا عن معركة تبوك، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

وتعتبر أكثر سور القرآن إيرادا لكلمة التوبة واشتقاقاتها؛ إذ تكررت في السورة سبع عشرة مرة.

وفي تسميتها ((براءة)) لافتتاح السورة بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾[(٤)].

ج- تناسب السورة مع التي قبلها (الأنفال)

قال صاحب ((تفسير المنار)): «أما التناسب بينها وبين ما قبلها، فإنه أظهر من التناسب بين سائر السور بعضها مع بعض، فهي كالمتممة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه، والسنن الإلهية، والتشريع وأحكام المعاهدات»[(٥)].

د- محور السورة

يُلاحظ في السورة تكرار قوله تعالى ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وهو محور السورة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٢/٧).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٥٤) كتاب تفسير القرآن. وصحيح مسلم (١٦١٨) كتاب الفرائض.

(٣) هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية الواقفي، ومُرارة بن الربيع العَمْري. انظر الخبر في صحيح البخاري (٤٤١٨) كتاب المغازي. وصحيح مسلم (٢٧٦٩) - كتاب التوبة.

(٤) انظر ((التفسير الموضوعي)) (١٨٧/٣)، و((فتح القدير)) للشوكاني (٣٥١/٢)، و((الكشاف)) للزمخشري (٢٤١/٢).

(٥) تفسير المنار (١٧٥/١٠).

وحكمته: التبشير بالتوبة والفلاح والنجاة من مصارع السوء.

والعلاقــة بيــن محور السورة وسورة الأنفــال علاقة تلازمية، وهي أكثر ســور القرآن تلازما وتشابهــا، حتــى ظن بعض الصحابة عنــد جمع المصحف الإمام زمن عثمــان رضي الله عنه أنها ســورة واحــدة، مــع أن الأنفال نزلت في غزوة بــدر، في السنــة الثانية للهجــرة، والتوبة نزلت في أواخر السنة التاسعة للهجرة، فترة غزوة تبوك قبل وفاة النبي ﷺ بعام وثلاثة أشهر، وبعد اثنين وعشرين عاما على بدء الوحي.[١]

هـ- مقاصدها

حــددت تحديدا حاسما للمنهاج الذي يجب أن يسلكه المؤمنون في علاقتهم مع المشركين، وتُبيّــنُ بجــلاءٍ الأسباب التي تدعو المؤمنين إلى التزام هذا المنهج؛ فهي في أولها تعلن براءة الله ورسولــه من المشركيــن بسبب خيانتهم، وتمنحهم الأمان لمدة أربعــة أشهر لكي يدبروا فيها أمر أنفسهم.

وتعلن للناس عامة يوم الحج الأكبر أنّ اللهَ ورسولَه قد برئا من عهود المشركين الذين نقضوا العهــد، وتستثني الذين لم ينقضوه إلى انتهاء مدتهم، وبعد ذلك فلا أمان للمشركين الناكثين، إلا من طلب الأمان من المؤمنين فيؤمنونه ليستمع القرآن ويتدبره ويطّلع على حقيقة الإسلام، وبذلك لا يبقى له عذر.

كمــا أن الســورة كشفــت الغطاء عــن المنافقيــن وأصنافهــم وأوصافهم، وعمــا سلكوه من مسالك لمحاربة الدعوة الإسلامية، وبيّنت كثيرًا من الأحكام والإرشادات التي تحتاج إليها الدولة الناشئــة؛ كحديثها عن مصارف الزكاة، وعن الجهاد، وعن العهود وأحكامها، وعن الأشهر الحُرم وغيرها.[٢]

وختمت الســورة بالإشارة الصريحة على مكانة خاتم الأنبياء والمرسلين في العرب خاصة، وفــي العالــم عامة، والحِكمة من بعثــه برسالة الإسلام، ثــم ذكرت بعض جميــل صفاته؛ كالرأفة والشفقة والرحمة بالمؤمنين.[٣]

و- تعريف كلمة «الفوز»

قــال الفراهيــدي: «الفَــوْزُ: الظَّفَرُ بالخَيْــر، والنّجاة من الشّــرّ. يقال: فاز بالجنّــةِ ونَجا من النّارِ».[٤]

---

(١) التفسير الموضوعي (١٩١/٣).

(٢) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٨٥/٦) بتصرف يسير.

(٣) التفسير الموضوعي (١٩٣/٣).

(٤) كتاب العين (٣٨٩/٧). وانظر ((المخصص)) لابن سيده (٩٧/٤).

قال ابن منظور: «الفَوْزُ: النَّجاءُ والظَّفَرُ بالأُمْنِيَّة والخيرِ، فازَ بِهِ فَوْزاً ومَفازاً ومَفازَةً».[1]

الفصل الأول

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

المبحث الأول: أهم أقوال علماء التفسير

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[2].

قال ابن مسعود رضي الله عنه (ت٣٢هـ): «﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بُطْنَان[3] الجَنَّةِ»[4].

قال الفراء (ت٢٠٧ه): ومعنى ﴿عَدْنٍ﴾: إقامة بِهِ. عَدَن بالموضع[5].

قال الطبري (ت٣١٠هـ): وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وأقرّوا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: بساتين تجري تحت

---

(١) لسان العرب (٣٩٢/٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق. وصحيح مسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٣) جمع بَطن، أي: وسطها. انظر تفسير الطبري (٥٦١/١١). وانظر ((النهاية في غريب الأثر)) لابن الأثير (٣٥٥/١). والظاهر أنه رضي الله عنه أراد بيان موطن جنات عدن، وليس التفسير اللغوي لمعنى ((عدن))؛ لأن المراد بالعدن مكان الإقامة والاستقرار، أي: مكانها في بطون الجنة. وهذا ما جاء في صفة الفردوس، كما في صحيح البخاري (٢٧٩٠) كتاب الجهاد، من حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ» فإن قال قائل: كل الجنان مكان استقرار وإقامة دائمة غير منقطعة، فما وجه التخصيص في بطون الجنة؟ والجواب: أن يكون باعتبار أن بطنان الجنة أخص من غيرها؛ فهي أحق ما يوصف بالقرار؛ فيكون كل ما جاء في القرآن عن جنة عدن، يكون المراد بطنان الجنة، أو الفردوس، وهذا مستفاد من ظاهر الأثر المروي عن ابن مسعود، ويفيده السياق أيضا كما سيأتي مفصّلا من قول رشيد رضا.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٦٧٤٠) من طريق سفيان، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عبد الله به. وإسناده صحيح، وله طُرق، وهذا الطريق أصحها وأثبتها، وقد أخرجه عبد الرزاق في ((التفسير)) (١٣٧٤). والطبري في تفسيره (٥٦١/١١-٥٦٢).

(٥) معاني القرآن الفراء (٣٧٠/٢).

أشجارها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: لابثين فيها أبدًا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها، ولا يبيد.
﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ يقول: ومنازل يسكنونها طيبة.

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فإنه يعني: وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جل ثناؤه ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ وفي ((من)) صلة ((مساكن)) وقيل: جنات عدن لأنها بساتين خلد وإقامة لا يظعن منها أحد. وقيل: إنما قيل لها جنات عدن لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه، من قول العرب: عدن فلان بأرض كذا، إذا أقام بها وخلد بها، ومنه المعدن، ويقال: هو في معدن صدق، يعني به أنه في أصل ثابت.

وقال آخرون: هي اسم لبطنان الجنة ووسطها.

وقال آخرون: عدن: اسم لقصر.

وقيل: إنه اسم نهر.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فإن معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.[(١)]

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ هذه الأشياء التي وُعِدَت المؤمنين والمؤمنات، هو الفوز العظيم، يقول: هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم؛ لأنهم ظفروا بكرامة الأبد، ونجوا من الهوان في السفر، فهو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه.[(٢)]

قال الأزهري (ت٣٧٠ﻫ): رُوي عن ابن مسعود أنه قال: «﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بُطْنَان الجنة» قلت: وبطنانها: وسطها. وبطنان الأودية: المواضع التي يستريض فيها ماء السيل، فيكرم نباتها، واحدها: بَطن. قلت: والعدن مأخوذ من قولك: عدن فلان بالمكان إذا أقام به، يعدن عدونا.[(٣)]

قال البغوي (ت٥١٠ﻫـ): ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ منازل طيبة ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي: بساتين خلد وإقامة، يقال: عدن بالمكان إذا أقام به.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر من ذلك.[(٤)]

قال الرازي (ت٦٠٦ﻫ): حاصل الكلام أن في جنات عدن قولين: أحدهما: أنه اسم علم

(١) ساق هنا حديث أبي سعيد الخدري الذي تقدم.

(٢) تفسير الطبري (٥٥٧/١١).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٢٩/٢).

(٤) معالم التنزيل (٧٣/٤).

لموضع معين في الجنة. والقول الثاني: أنه صفة للجنة.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والمعنى أن رضوان الله أكبر من كل ما سلف ذكره.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ والمعنى: أن هذا هو الفوز العظيم، لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التنعم بطيبات الدنيا.[1]

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي في دار إقامة. يقال: عدن بالمكان إذا أقام به، ومنه: المعدن.

﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أي أكبر من ذلك. ذلك هو الفوز العظيم.[2]

قال البيضاوي (ت٦٨٥هـ): ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة وخلود ﴿ذلك﴾ أي: الرضوان أو جميع ما تقدم ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها.[3]

قال أبو السعود (ت٩٨٢هـ): ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ تفصيل لآثار رحمته الأخروية إثر ذكر رحمته الدنيوية والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بعلية وصف الإيمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الأمر بالمعروف وغير ذلك، للإيذان بأنه من لوازمه ومستتبعاته، أي: وعدهم وعدا شاملا لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفًا وكمًّا.

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فإن كل أحد منهم فائز بها لا محالة.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي: وعد بعض الخواص الكمّل منهم منازل تستطيبها النفوس أو يطيب فيها العيش ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ هي أبهى أماكن الجنات وأسناها.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وشيء يسير من رضوانه تعالى ﴿أَكْبَرُ﴾ إذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة.[4]

قال رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ): ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ هي الدور والخيام، التي يطيب لساكنيها بها المقام في ذلك المقام، لاشتمالها على جميع المرافق والأثاث والرياش والزينة

(١) مفاتيح الغيب (١٠٢/١٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٤/٨).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨٩/٣).

(٤) إرشاد العقل السليم (٨٣/٤).

والرزق الذي تتم به راحة المقيم فيها وغبطته.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ وأما إضافة هذه الجنات إلى ﴿عَدۡنٍ﴾ فقد تعددت في التنزيل بما جاوز جمع القلة، ومعنى ((العدن)) في اللغة: الإقامة والاستقرار والثبات، يقال: عدن في مكان كذا – من بابي ضرب وقعد – أقام وثبت فيه، ومنه: ((المعدن)) – لمستقر الجواهر كالذهب والفضة والماس وغيرها – وفسروها بقولهم: جنات إقامة وخلود كقوله تعالى: ﴿جنة الخلد﴾ (الفرقان: ١٥) و﴿جنة المأوى﴾ (النجم: ١٥) ولكن هاتين وردتا باللفظ المفرد مضافا إلى معرفة، فهما اسمان لدار النعيم؛ كلفظ ((الجنة)) في مثل: ﴿ادخلوا الجنة﴾ (الأعراف: ٤٩) و﴿يدخلون الجنة﴾ (النساء: ١٢٤) وأما ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ فهو جمع أضيف إلى هذا اللفظ المفرد ﴿عَدۡنٍ﴾ فجعله بمعنى: إقامة – كما قيل – يقتضي جعله مكررا مع قوله قبلُ: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لأنها وصفت بالإقامة وبالخلود فيها أيضا، على ما في تنكير ﴿عَدۡنٍ﴾ بهذا المعنى من الضعف؛ فوجب أن يكون لفظ ((عدن)) معرفة، ومعنى التركيب: في جنات المكان المسمى بهذا الاسم ﴿عَدۡنٍ﴾.

وقد ورد في الأحاديث ما يفسر هذا، وهو ذكر جنة عدن باللفظ المفرد المضاف، وفي بعضها ما يدل على أن المراد بها مكان أو منزل من منازل دار النعيم كالفردوس الذي هو أوسط الجنة أو أعلاها، وهو ما يكون في تجلي الرؤية، التي هي أعلى النعيم وأكمل المعرفة.

روى الشيخان من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّة، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَب، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[1] أي: حالة كونهم في جنة عدن، فالمتبادر من هذا: أن جنة عدن مكانٌ سام في طبقة من طبقات الجنة؛ لأنها نكرة مضافة إلى نكرة، ومجموع الحديث والآيات يدل على أن ((عَدْنًا)) منزل في أعلى الجنة، وأن فيه جنات، أي: بساتين متعددة، لكل من خاف مقام ربه منها جنتان، ومن دونهما جنتان وهي كالأربع الموصوفة في سورة الرحمن. ويقرب من حديث أبي موسى المتفق عليه حديث أبي هريرة المتفق عليه[2] أيضا «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن» فيفهم منه أن الفردوس هو جنة عدن، وهذا ما قاله مقاتل والكلبي، قالا: ﴿عَدۡنٍ﴾ أعلى درجة في الجنة، وفيها عين التسنيم والجنات محدقة حولها، إلخ.

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٧٨) كتاب تفسير القرآن. وصحيح مسلم (١٨٠) كتاب الإيمان.

(٢) الحديث أخرجه البخاري كما تقدم، ولم يخرجه مسلم، ولعل الشيخ رشيدًا تابَعَ ابنَ كثير أو السيوطيَّ في نسبة الحديث إلى صحيح مسلم.

ومن هنا يعلم أن قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بعد ذكر جنات عدن يراد به: أعلى درجات الرضوان، وما هو إلا مقام رؤية الرب تعالى التي تكمل بها معرفة الرحمن، وتتم سعادة الإنسان، فالإنسان جسد وروح، ففي الجنات ومساكنها أعلى النعيم الجسماني، ورضوان الله الأكبر هو أعلى النعيم الروحاني.(١)

قال الزحيلي (ت١٤٣٦هـ): ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي: حسنة البناء، طيبة القرار، وجناتهم ﴿جنات عدن﴾ هي اسم مكان ومنزل من منازل الجنة كالفردوس، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ (مريم: ٦١) وللمؤمنين أيضا رضوان من الله أكبر وأعظم من الجنان، أي: إن رضا الله عنهم أجلّ مما هم فيه من النعيم المادي المحسوس، وذلك دليل قاطع على أن السعادة الروحية أكمل وأشرف وأهنأ من السعادة الجسدية.

وهذه الأمور الثلاثة: الجنات والمساكن الطيبة في جنات عدن، والرضوان الإلهي الأكبر، هي جزاء أهل الإيمان، وذلك النعيم الجسدي والروحي هو الفوز العظيم وحده، دون ما يعده الناس فوزا من طيبات الحياة الدنيا الفانية التي يحرص عليها المنافقون والكفار ويطلبونها دائما.(٢)

المبحث الثاني: المعنى المجمل للآية

وعد الله أهل الإيمان من رجال ونساء جنات تجري من تحتها الأنهار الغزيرة التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى، خالدين فيها، ومساكنَ طيبة عالية لخاصة عباده، في جنات عدن، بطنَ الجنة وأعلاها، وهي الفردوس، ثم يحل رضوان الله الأكبر على أهل الجنة، وهو أكبر ما فيها من نعيم؛ فإن نعيم أهل الإيمان لا يطيب إلا برضوان الله، وذلك هو الفوز العظيم، حيث ربحوا أعظم ربح.

المبحث الثالث: الدروس والعبر المستفادة

أ- بعد ذكر الله للمؤمنين، عطف عليه ذكر المؤمنات ليبين مكانة المرأة المسلمة في هذا الدين العظيم.

ب- وصف الغيب الموعود يعين على تصوّره، ليزيد من همّة المرء في تحصيله.

ج- للجنة مراتب، وعلى البصير أن يصرف همّته لتحصيل أعلاها، ويسألَ الله ذلك؛ فأي شيء أعظم من رؤية الله، وكم يُحرَمُ من حُرِمَ هذا التجلي وإن كان من أهل الجنة؟!

(١) تفسير المنار (٦٣١/١٠).

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٨٨٨/١).

د- فـي الآيـة بيان بتفاوت مراتـب الجنة، وفي كتـاب الله غير آية تدل علـى ذلك، كما جاء التفريـق بين جزاء المقربين وجزاء أصحاب اليمين، وفي الأحاديث الصحيحة، وكلام الصحابة مـا يبيّنه؛ فمـن الأحاديث البيّنة في هذا الصـدد: «إنَّ في الجَنَّة مائَةَ دَرَجَـة»[1] وما رواه أنس بن مالـك رضي الله عنـه، قال: أُصيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَـاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَـا رَسُولَ اللَّه، قَـدْ عَرفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ منِّي، فَإِنْ يَكُنْ في الجَنَّة أَصْبِـرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَـرَى مَـا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «وَيْحَـك، أَوَهَبِلْتِ؟!، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِـيَ؟!، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيـرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ»[2].

وفـي حديث المغيـرة بن شعبة رضي الله عنه يرفعه: أن نبـي الله موسى سأل عن أدنى أهل الجنة وأعلاهم، قال: «فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟» فيقول الله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[3].

وعـن ابـن مسعود رضي الله عنه قـال: «تسنيم عين في الجنة يشرب بهـا المقربون صِرفا، وتمزج لأصحاب اليمين»[4]. وغير ذلك من الأحاديث.

هـ- الفـوز برضا الله يكون بطاعة الله ورسولـه والاستمساك بغرزه، وذلك هو الفوز العظيم، الذي يكثر على لسان الخطباء في قِيلهم: «ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما».

و- حـريّ بالدعـاة أن يبرزوا ما عند الله من نعيم مقيم يستحق أن يبذل المؤمن كل غال من أجل أن يناله؛ فسلعة الله غالية، ألا إنها الجنة.

الفصل الثاني

قولـه تعالـى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (١٠٠)

المبحث الأول: أهم أقوال علماء التفسير

قـال عبـد الرحمـن بن أبـي ليلـى (ت٨٢ هـ): كان الناس على ثلاثـة منـازل: المهاجرون

(١) تقدم في هامش الصفحة الأولى من المبحث الأول.

(٢) صحيح البخاري (٣٩٨٢) كتاب المغازي.

(٣) صحيح مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٦٨٠٠) قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله به، وإسناده صحيح.

الأولـون[1]، والذيـن اتبعوهم بإحسان، والذيـن جاءوا من بعدهم يقولون ربنـا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان((٢))؛ فأحسن ما نكون أن نكون بهذه المنزلة.[3]

قـال سعيـد بـن المسيـب (ت١٠٥هـ): ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ هم الذين صلوا القبلتين جميعا.[4]

قال عامر الشعبي (ت١٠٦هـ): السابقون الأولون من أدرك بيعة الرضوان.[5]

قال الطبري: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره: والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ﴾ يقـول: والذيـن سلكـوا سبيلهـم في الإيمان بـالله ورسوله والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلبَ رضى الله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان لما أجزل لهم من

---

(١) كذا في سائر ما وقفت عليه من الطبعات، والأنسب أن تكون «السابقون الأولون» فالسابقون الأولون يدخل فيهم المهاجرون والأنصار، دون الاقتصار على المهاجرين فقط، إلا أن يكون ابن أبي ليلى ممن كان يقرأ بالقراءة المروية: ﴿والأنصارُ الذين اتبعوهم بإحسان﴾ بالرفع، ودون إلحاق واو العطف في ((الذين))، فيكون مراده بالذين اتبعوهم بإحسان: هم الأنصار؛ إذ اتبعوا المهاجرين الأولين والله أعلم.

(٢) كون قوله تعالى ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ (الحشر: ١٠) يشمل عامة المسلمين وليس مخصوصا بحقبة؛ فيعضده ما رواه عبد الرزاق في ((المصنف)) – أو ((جامع معمر بن راشد)) (٢٠٩٥٧): عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان أن عمر قرأ ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ (الحشر: ٧-١٠) ثم قال: «هذه استوعبت المسلمين عامة، فلئن عشت ليأتين الراعي وهو بِسَرْوِ حِمْيَرَ نَصِيبُهُ منها، لم يَعْرَقْ فيها جَبِينُه» والخبر صحيح، وقد رواه الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان مختصرا دون ذكر الآيات (٢٠٩٥٦). وبهذا المعنى أخرجه ابن سعد في ((الطبقات)) (٢٨١/٣) من طُرق عن حارثة بن مضرب، وأسلم مولى عمر، أن عمر بن الخطاب قال: «لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم» وهو صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (٥٩٣/٨) قال: حدثنا أحمد بن سنان، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن قيس – يعني ابن مسلم – عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٣٩/١١) من طرق عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٩٨٩١) قال: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا إسماعيل، عن عامر به. وأخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (٥٩٢/٨) من طريق يحيى القطان عن إسماعيل عن عامر به. وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٣٧/١١) من هذه الطرق. فائدة: نقل أبو بكر بن العربي في ((أحكام القرآن)) (٥٧٠/٢) أن الشافعي قال بقول عامر الشعبي.

الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه ﷺ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها لابثين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.[١]

قال السمرقندي (ت٣٧٣هـ): ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بأعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ يعني: عن الله تعالى بثوابه إياهم في الجنة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ يعني: الثواب الوافر.[٢]

قال القاسمي (ت١٣٣٢هـ): ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ أي ممن تقدم بالهجرة والنصرة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أي سلكوا سبيلهم بالإيمان والطاعة.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ لأن الهجرة أمر شاق على النفس، لمفارقة الأهل والعشيرة، والنصرة منقبة شريفة؛ لأنها إعلاء كلمة الله، ونصر رسوله وأصحابه والإحسان من أحوال المقربين أو مقاماتهم.

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بما وفقهم إليه من الإيمان والإحسان، وما آتاهم من الثواب والكرامة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وذلك بدل ما تركوا من دورهم وأهليهم، وبدل ما أعطوه للمهاجرين من أموالهم، ولغرسهم جنات القرب في قلوبهم، وإجرائهم أنهار المعارف في قلوبهم وقلوب من اتبعوهم بهذه الهجرة والنصرة والإحسان.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ لتخليدهم هذا الدين بإقامة دلائله، وتأسيس قواعده، إلى يوم القيامة، والعمل بمقتضاه، واختيار الباقي على الفاني.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: الذي لا فوز وراءه.[٣]

قال رشيد رضا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ ولفظ الاتباع فيها نص في الصحابة المتأخرين الذين اتبعوا الأولين من المهاجرين والأنصار في صفتيهم: الهجرة والنصرة، وهو بصيغة الماضي فلا يدخل في عمومه التابعون الذين تلقوا الدين والعلم من الصحابة، ولم ينالوا شرف الصحبة والهجرة والنصرة، وتسمية هؤلاء بالتابعين اصطلاحية حدثت بعد نزول القرآن وانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ في إيمانهم وإسلامهم وإحسانهم وأعلاه ما كان من هجرتهم وجهادهم، فقبل طاعاتهم، وغفر سيئاتهم، وتجاوز عن زلاتهم؛ إذ بهم أعز الإسلام، ونكل

---

(١) تفسير الطبري (١١/٦٣٧).

(٢) بحر العلوم (٢/٨٤).

(٣) محاسن التأويل (٥/٤٨٦).

بأعدائــه من المشركيــن وأهل الكتاب ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بمــا وفقهم له، وأسبغـه عليهم من نعمه الدينية والدنيوية فأنقذهم من شرك وهداهم من ضلال، وأغناهم من فقر وأعزهم من ذل.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ تقــدم مثـل هذا الوعد الكريم في الآية (٧٢) وفي آيات أخــرى، ومعناه ظاهر، وأي فوز أعظم من نعيم الجنة الخالد من بدني وروحاني؟[1]

قــال ابن عاشــور (ت١٣٩٣هـ): والمراد بالذيــن اتبعوهم بقية المهاجريــن وبقية الأنصار، اتبعوهــم في الإيمــان، أي آمنوا بعد السابقين: ممن آمنوا بعد فتح مكــة ومن آمنوا من المنافقين بعد مدة.

والإحســان: هو العمل الصالح، والباء للملابسة، وإنما قيد هذا الفريق خاصة لأن السابقين الأولين ما بعثهم على الإيمان إلا الإخلاص، فهم محسنون، وأما الذين اتبعوهم فمن بينهم من آمن اعتــزازا بالمسلميــن حين صاروا أكثر أهل المدينة، فمنهم من آمن وفي إيمانه ضعف وتردد، مِثل المؤلفــة قلوبهم، فربما نزل بهم إلى النفاق وربما ارتقى بهم إلى الإيمان الكامل، وهم المذكورون مع المنافقين في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (الأحزاب: ٦٠) فإذا بلغوا رتبة الإحسان دخلوا في وعد الرضى من الله وإعداد الجنات.

وجملــة: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ خبر عن ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي لقصد التقوي والتأكيد.

ورضــى الله عنهم عنايته بهم وإكرامه إياهم ودفاعه أعداءهم، وأما رضاهم عنه فهو كناية عــن كثرة إحسانــه إليهم حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم. والإعــداد: التهيئة. وفيه إشعار بالعناية والكرامة.[2]

المبحث الثاني: المعنى المجمل للآية

فــي هــذه الآية بيان منازل الصحابة رضي الله عنهم؛ فالسابقــون الأولون هم الذين شهدوا بيعــة الرضــوان، أو هــم الذين صلــوا القبلتين جميعــا، والذين اتبعوهــم بإحسان هــم الصحابة المتأخــرون عنهم، فأسلموا وحسن إسلامهــم، وأحسنوا المتابعة لمن سبقهم بالإيمان، رضي الله عنهــم جميعا بقبول طاعاتهــم، وغفران زلاتهم، وهذا الرضا فيه خير عيشــ الدنيا، وحسن ثواب الآخرة: جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها، ورضوا عنه بما أسبغ عليهم من نعمه في دنياهم

(١) تفسير المنار (١١/١٥).

(٢) ( ) التحرير والتنوير (١١/١٨).

وآخرتهـم، بإنقاذهم من الشرك والضلال، وتوفيقهم إلى الخيـر وصراط الحق، وأعز بهم دينه، وجعلهم شهداءه في الأرض، ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.

المبحث الثالث: الدروس والعبر المستفادة

أ- التأسي بكبار الصحابة سبيل إلى رضوان الله تعالى والفوز العظيم، فمن اتبعهم بإحسان كمـا اتبعهـم الأولون نال خيرا كثيـرا، ورجا رضـوانَ الله؛ فرضوان الله موصول بعـد المهاجرين والأنصار لمن اتبع سبيلهم إلى قيام الساعة.

ب- الصحابـة غرسـ نبوي، وهم أَمَنَةٌ لهـذه الأمة، حضورهم بَركَـةٌ وآلاء، وذهابهم حَسْرَةٌ وبـلاء؛ ولذا أخبرهم رسول الله ﷺ بموعـد انقراض ذلك الجيل، لعظم شأن تيك الواقعة بقوله: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»[١].

وقولـه ﷺ: «النُّجُـومُ أَمَنَـةٌ لِلسَّمَاءِ، فَـإِذَا ذَهَبَـتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَـاءَ مَا تُوعَـدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِـي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَـدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[٢].

وقولـه ﷺ: «خَيْـرُ النَّاسِ قَرْنِـي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُـمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِـيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[٣].

وقولـه ﷺ: «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا...»[٤].

وقـال أميـر المؤمنين عمر بـن الخطاب رضي الله عنه: «قـد عَلِمْتُ وَرَبِّ الكَعْبَـةِ مَتَى تَهْلِكُ العَرَبُ؛ إِذَا سَاسَ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يَصْحَبْ الرَّسُولَ وَلَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الجَاهِلِيَّةِ»[٥].

وأما ذهاب أكابرهم بين ظهرانيهم، فكانوا يرونه ثلمة لا يسدها شيء، قال ابن مسعود رضي

---

(١) صحيح البخاري (١١٦) كتاب العلم. وصحيح مسلم (٢٥٣٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٣١) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٥٠) كتاب أصحاب النبي ﷺ. وصحيح مسلم (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح مسلم (١٨٤٤) كتاب الإمارة.

(٥) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات)) (٦/١٨٠) في ترجمة المستظل بن الحصين، قال: أخبرنا عبد الملك بن عمرو أبو عامر العقدي قال: حدثنا سفيان عن شبيب بن غرقدة قال: حدثني المستظل بن الحصين البارقي من الأزد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول:..فذكره. وأخرجه علي بن الجعد في مسنده (٢٣٦٨) من طريق شريك عن شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين، قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: «والله لقد علمت متى تهلك العرب؛ إذا ساسهم من لم يصحب النبي ﷺ فيقيده الورع، أو يدرك الجاهلية فيأخذ بأحلامهم» وإسناده جيد.

اللّه عنه: «إِنَّ عُمَرَ كَانَ حِصْنًا حَصِينًا للإِسْلامِ[١]، يدخل الناس فِيهِ ولا يخرجون، فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ انْثَلَمَ الْحِصْنُ والناس يخرجون منه ولا يدخلون فيه»[٢].

وقـال حذيفة رضي اللّه عنه: «مَا كَانَ الإِسْلاَمُ فِي زَمَانِ عُمَرَ إِلاَّ كَالرَّجُلِ الْمُقْبِلِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ قُرْبًا، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ كَانَ كَالرَّجُلِ الْمُدْبِرِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ بُعْدًا»[٣].

وغيـر ذلك من الأخبار الصحاح. ولا ينبغي أن يُفهـم تقنيطٌ من هذا أو تخدير، بل هذا حق يجـب الاعتراف بـه، وتعريف الناس به، وإن كانت أمّة الإسلام أمّـة ولّادة؛ فما مَثَلُ ذهاب الأكابر إلا كمثـل الفتـق يصيب الثوب، ثم توضع له الرقاع فتلبث برهة من الزمن، ثم تبلى الرقعة، فيرجع الفتـق كما كان، حتى يجيء مـن يُحْسِنُ يُرقّع، فكلما كانت الرقعة أجـود كان الثبات أجدر، أما أن يرجـع كما كان فلا، والسبب في عدم القدرة على إرجاع الأمر كما كان: أن السابقين الأولين حين توفاهـم اللّه، قَبَضَ معهم علمًا كثيـرًا. وفائدة العلم بهـذا: إنزالُ الناس منازلهـم، ومعرفةُ أهل الفضل، وحسنِ اختيار الأسوة.

قال ابن عباس لما مات زيد بن ثابت: هكذا ذهاب العلم، لقد مات اليوم علم كثير.[٤]

وقـال ابن سيرين: سألت عَبِيدَةَ[٥] عن آية من كتـاب اللّه، فقال: عليك بتقوى اللّه والسداد، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن.[٦]

ومصـداق ذلـك: حديث النبـي ﷺ المشهور: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًـا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ»[٧].

ج- كان جيـل الصحابة جيلا يقدّم العملَ وسلامـةَ العقيدة، والزهدُ - الذي هو قِصَرُ الأمل - أبرزُ خصالهم[٨]، وما كانوا يتجاوزون شيئا من العلم حتى يعملوا به، قال ابن مسعود رضي اللّه

(١) ويصدقه حديث حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه الذي رواه البخاري (٧٠٩٦) كتاب الفتن. ومسلم في صحيحه (٢٢١٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في ((المصنف)) (١٣٠٠٦) عن ابن عيينة عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: «مات رجل منا وترك أم ولد...» وأخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٤١٧٦): حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب، قال: «جاء رجلان إلى عبد اللّه...» وفيهما: إن عمر كان حصنا حصينا للإسلام...الخ. وهو صحيح.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤١٩٠) قال: حدثنا أبو داود عمر بن سعد، عن سفيان، عن منصور، عن ربعي قال: سمعت حذيفة يقول...فذكره. وإسناده جيّد أو صحيح.

(٤) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات)) (٣١٥/٥) من طرق عن ابن عباس، ورجالها ثقات.

(٥) يعني السلمانيَّ.

(٦) سنن سعيد بن منصور (١٨٥/١) من طريق ابن عون، عن ابن سيرين، قال: سألت عَبيدة...فذكره. وهو معلوم الصحة.

(٧) صحيح البخاري (١٠٠) كتاب العلم. وصحيح مسلم (٢٦٧٣) كتاب العلم.

(٨) روى ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٠٧٢٧٣): حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن =

عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[١].

وقال جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[٢]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»[٣].

د- الإعـداد الإيمانـي، والتكوين البنياني، والفهم الشرعي الصحيـح، لَهِيَ القواعد الصلبة لاستقرار هذا الدين في أرض الله الواسعة.

هـ- من رضي الله عنه لَمْ يُبَـالِ بَعْدُ بسخط الناس؛ فمن أسخط الناس برضا الله كفاه الله الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس.

و- للسابقين في عمل الخير فضيلةٌ وإمامةٌ.

ز- كان قيـام هـذا الدين القويم علـى أكتاف المهاجرين الأولين؛ فهـم أول الناس إسلاما، ونالوا الأذى، وشتى صنوف البلاء من أقوامهم، من قتل وتشريد وتعذيب، غير أن الثّمر الذي رجوه قـد أينع، وأعـز الله دينه، فبلغ مشارق الأرضـ ومغاربها؛ ذلك بأن التضحية مـع سلامة المعتقد وصحـة العمل تخرج بنتيجة مثمـرة؛ ولذا كان النصر على أيدي الرعيـل الأول أدنى، كما جاء في حديـث أبـي سعيد الخدري رضي الله عنـه[٤] أن الله يُيَسِّرُ الفتح بحضـرة رَجُلٍ صَحِب رسول الله ﷺ، أو رجلٍ رأى من صحب رسول الله، أو رجل رأى من صحب أصحاب رسول الله، وهكذا؛ فكلما كانوا أقرب إلى المعين كان النصر لهم أوجب.

الفصل الثالث

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

= عبد الله بن مسعود قال «أنتم أكثر صياما وأكثر صلاة وأكثر جهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم» قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟! قال: «كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة» وإسناده صحيح.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤/١) من طريق الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود...فذكره. ويشهد له ما صح عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ. أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (٢٣٤٨٢) قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن...فذكره.

(٢) الْحَزَوَّرُ: الذي قارب البلوغ. انظر ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٣٨٠/١).

(٣) أخرجه ابن ماجة في ((السنن)) (٦٢) قال: حدثنا علي بن محمد قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا حماد بن نجيح – وكان ثقة – عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد الله...فذكره.

(٤) انظر الحديث في صحيح البخاري (٢٨٩٧) كتاب الجهاد والسير. وصحيح مسلم (٢٥٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

المبحث الأول: سبب النزول

عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ونفسك ما شئت قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع لا نُقيل ولا نَستقيل فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾[1].

المبحث الثاني: أهم أقوال علماء التفسير

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت٢٣هـ): «﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ فجعل لهم الصَّفْقَتَيْنِ جميعًا، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَمَدَّكُمْ بِخَزَائِنَ مِنْ قِبَلِهِ[2] لَأَخَذْتُ فَضْلَ مَالِ الرَّجُلِ عَنْ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فَقَسَمْتُهُ بَيْنَ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ»[3].

قال شِمر بن عطية (ت١١١هـ): ما من مسلم إلا ولله في عنقه بيعة، وفّى بها أو مات عليها، في قول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ ...﴾ الآية. ثم حلاهم فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ إلى ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

قال الطبري: إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ يقول: وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعدا عليه حقا أن يوفي لهم به في كتبه المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا في سبيلِه ونصرةِ دينِه أعداءَه فقَتَلوا وقُتِلوا.

---

(١) تفسير الطبري (٦/١٢) وانظر ((أسباب النزول)) للواحدي ص٢٦٦، و((زاد المسير)) لابن الجوزي (٥٠٣/٣)، و((الدر المنثور)) للسيوطي (٥٠١/٣). والخبر مداره على محمد بن كعب القرظي؛ فالخبر مُرسَل

(٢) يريد أنه ليس له سلطان في أخذ ما فضل من أموال الناس مما لم يوجبه الله تعالى، وإن كان يريدها في سبيل الله؛ ولذا كان يقول: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أَدَعَ فِي الْكَعْبَةِ صَفْرَاءَ، وَلاَ بَيْضَاءَ إِلاَّ قَسَمْتُهَا بَيْنَ النَّاسِ فقال له شيبة بن عثمان: ليس ذلك إليك، قد سبقك صاحباك – يعني رسولَ الله ﷺ وأبا بكر – فلم يفعلا ذلك قال عمر: «هما المرآن يُقتدى بهما». أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٢٩/١٨) من طريق واصل الأحدب عن أبي وائل قال جلست إلى شيبة بن عثمان...فذكر الخبر، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في ((السنن الكبير)) (٣٩٥/١٢) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر بن الخطاب. وأخرجه ابن أبي حاتم في ((التفسير)) (٦٤٠/٨) (١٦٤٥) من هذه الطريق مقتصرا على قوله: فجعل لهم الصفقتين جميعا وأخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٥١٨٥) من طريق حبيب بن ابي ثابت عن أبي وائل قال: قال عمر: «لئن بقيت لآخذن مال الأغنياء ولأقسمنه في فقراء المهاجرين» هكذا مقتصرا على شطره الثاني. والإسناد الأول أصح.

(٤) تفسير الطبري (٥/١٢) قال: حدثنا ابن حميد، ثنا يعقوب، عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية...فذكره.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يقـول جل ثناؤه: ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله؟

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ يقـول ذلك للمؤمنين: فاستبشروا أيهـا المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهـدوا ﴿بِبَيْعِكُمُ﴾ أنفسَكم وأموالَكم بالذي بعتموها من ربكم، فإن ذلك هو الفوز العظيم.[1]

قـال السمرقنـدي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ معنـاه: إنه طلـب من المؤمنين أن يفدوا أنفسهم وأموالهـم، ويخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، ليثيبهم الجنة. وذكر الشراء على وجه المثل؛ لأن الأموال والأنفس كلها لله تعالى، وهي عنـد أهلها عاريّـة، ولكنه أراد به التحريض والترغيب في الجهاد. وهـذا كقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (البقـرة: ٢٤٥) ثـم قال: ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: في طاعة الله تعالى مع العدو.

﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يعني: يقتلون العدو ويقتلهم العدو.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ يعنـي: واجبـا لهـم ذلك، بأن يفي لهـم ما وعد، وبيّـن لهم ذلك في التوراة والإنجيل والقرآن.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعنـي: ليس أحـد أوفى مـن الله تعالـى في عهده وشرطه؛ لأنه عهد أن من قتل في سبيل الله، فله الجنة، فيفي عهده ذلك وينجز وعده.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ وهذا إعلام لهم أنهم يربحون في مبايعتهم.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يعني: الثواب الوافر والنجاة الوافرة.[2]

قال البغوي: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي: ثواب الجنة لهم وعد وحق.

﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ يعنـي: أن الله عز وجـل وعدهم هذا الوعد، وبيّنـه فـي هذه الكتب. وقيـل: فيه دليل على أن أهـل الملل كلهم أُمروا بالجهـاد على ثواب الجنة، ثـم هنّأهم فقال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ فافرحـوا ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك.[3]

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): مثّل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشَّـرْوَى. وروي: تاجرهـم فأغلـى لهم الثمن. وعن عمـر رضي الله عنه: فجعـل لهم الصفقتين

(١) المصدر السابق.

(٢) بحر العلوم (٢/٨٩).

(٣) معالم التنزيل (٤/٩٨).

جميعاً. وعن الحسن: أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها. وروي: أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم» قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: لكم الجنة. قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل.

﴿يُقَـٰتِلُونَ﴾ فيه معنى الأمر.

﴿وَعْدًا﴾ مصدر مؤكد. أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعدٌ ثابت قد أثبته في التّوراة والإنْجيل كما أثبته في القرآن، ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لأنّ إخلاف الميعاد قبيح لا يُقْدِمُ عليه الكرام من الخلق، مع جوازه عليهم لحاجتهم، فكيف بالغنيّ الذي لا يجوز عليه القبيح قط؟! ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن منه وأبلغ.[١]

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِلَ العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له.

﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ أي: سواء قَتلوا أو قُتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة؛ ولهذا جاء في الصحيحين: «تَكَفَّلَ اللّٰهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِه، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِه، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِه بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِه الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[٢].

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه الكبار، وهي التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: ولا واحد أعظم وفاء بما عاهد عليه من الله فإنه لا يخلف الميعاد.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم.[٣]

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣١٣/٢).

(٢) صحيح البخاري (٣١٢٣) كتاب فرض الخمس. وصحيح مسلم (١٨٧٦) كتاب الإمارة.

(٣) تفسير ابن كثير (٢١٨/٤).

قال الإيجي (ت٩٠٥هـ): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ التي هو خلقها ﴿وَأَمْوَٰلَهُم﴾ التي هو رزقها ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ تمثيلٌ لإثابة الله مَنْ بَذَلَ نَفْسَه ومَالَه في سبيل الله الجَنَّةَ ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف ببيان ما لأجله الشِّرى ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان؛ فإن الاشتراء بالجنة يستلزم الوعد بها ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين ثابت فيهما كما هو ثابت في القرآن. قال بعضهم: الأمر بالجهاد في جميع الشرائع. وقال بعضٌ: كتب فيهما أنه اشترى من أمة محمد أنفسهم وأموالهم بالجنة كما بين في القرآن ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعني لا أحد أوفى بما وعد

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ غاية الفرح فإنه موجب للفرح الأبدي، ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ نزلت حين قال عبد الله بن رواحة...[1] [2]

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، وذكر أقسامهم، وفرّع على كل قسم منها ما هو لائق به عاد على بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه، وذِكْرُ الشراءِ تمثيلٌ كما في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ (البقرة: ١٦) مثّل سبحانه إثابة المجاهدين بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشراء. وأصل الشراء بين العباد: هو إخراج الشيء عن الملك بشيء آخر، مثْله أو دونَه، أو أنفع منه، فهؤلاء المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة التي أعدها للمؤمنين، أي: بأن يكونوا من جملة أهل الجنة، وممن يسكنها، فقد جادوا بأنفسهم، وهي أنفس الأعلاق[3]، والجود بها غاية الجود:

يجود بالنفس إن ضنّ الجبان بها　　　والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وجاد الله عليهم بالجنة، وهي أعظم ما يطلبه العباد، ويتوسلون إليه بالأعمال والمراد بالأنفس هنا: أنفس المجاهدين، وبالأموال: ما ينفقونه في الجهاد.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بيان للبيع يقتضيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة؟ فقيل: يقاتلون في سبيل الله! ثم بيّن هذه المقاتلة في سبيل الله بقوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ والمراد: أنهم يقدمون على قتل الكفار في الحرب، ويبذلون أنفسهم في ذلك، فإن فعلوا فقد استحقوا الجنة، وإن لم يقع القتل عليهم بعد الإبلاء في الجهاد

(١) ساق هنا الخبر الذي رواه القرطبي.

(٢) جامع البيان للإيجي (١٠٤/٢).

(٣) العِلْقُ: النفيس من كل شيء. انظر ((القاموس المحيط)) (٩١١/١).

والتعرض للموت بالإقدام على الكفار.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ إخبار من الله سبحانه: أن فريضة الجهاد استحقاق الجنة بها قد ثبت الوعد بها من الله في التوراة والإنجيل، كما وقع في القرآن، وانتصاب ﴿وَعْدًا﴾ و﴿حَقًّا﴾: على المصدرية، أو الثاني نعتٌ للأول، و﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: متعلق بمحذوف، أي: وعدا ثابتًا فيها.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ في هذا من تأكيد الترغيب للمجاهدين في الجهاد، والتنشيط لهم على بذل الأنفس والأموال ما لا يخفى.

﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ أي: أظهروا السرور بذلك

﴿وَذَٰلِكَ﴾ إلى الجنة، أو إلى نفس البيع الذي ربحوا فيه الجنة، ووصْفُ ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ - وهو الظفر بالمطلوب - بالعِظَم يدلّ على أنه فوزٌ لا فوز مثله.[1]

قال رشيد رضا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ هذا تمثيل لإثابة الله المؤمنين على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله بتمليكهم الجنة دار النعيم الأبدي، والرضوان السرمدي، تفضّل - جل جلاله وعم نواله - بجعلها من قبيل من باع شيئا هو له لآخر، لطفا منه تعالى وكرما وتكريما لعباده المؤمنين بجعلهم كالمتعاقدين معه كما يتعاقد البيّعان على المنافع المتبادلة وهو - عز وجل - المالك لأنفسهم، إذ هو الذي خلقها، والمالك لأموالهم، إذ هو الذي رزقها، وهو غني عن أنفسهم وأموالهم. وإنما المبيع والثمن له، وقد جعلهما بكرمه لهم.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ بيان لصفة تسليم المبيع وهو أنهم يقاتلون في سبيل الحق والعدل الموصلة إلى مرضاته تعالى فيبذلون أنفسهم وأموالهم فيكونون إما قاتلين لأعدائه الصادين عن سبيله، وإما مقتولين شهداء في هذه السبيل.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: وعدهم بذلك وعدًا أوجبه لهم على نفسه. وجعله حقًّا عليه أثبته في الكتب الثلاثة المنزلة على أشهر رسله، ولا تتوقف صحة هذا الوعد على وجوده في التوراة والإنجيل اللذين في أيدي أهل الكتاب بنصه؛ لما أثبتناه من ضياع كثير منهما، وتحريف بعض ما بقي لفظًا ومعنى، بل يكتفي إثبات القرآن لذلك وهو مهيمن عليهما.[2]

(١) فتح القدير (٢/٤٦٣).

(٢) في الجزء ١٠، ص٤٠١ من طبعة دار المنار موضوع هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أحـد أوفى بعهده وأصدق في إنجاز وعده من الله عز وجل، إذ لا يمنعه من ذلك عجز عن الوفاء، ولا يمكن أن يعرض له فيه التردد أو البداء.

﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ الاستبشـار: الشعـور بفـرح البشـرى أو استشعارهـا، الـذي تنبسط به بشرة الوجه فيتألـق نورها، والجملة تقرير لتمـام صفقة البيع من الجانبين.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا يتعاظمه فوز، دون ما يتقدمه من النصر والسيادة والملـك، الذي لا يعد فـوزا إلا بجعله وسيلة لإقامة الحق والعدل. أعلـى الله تعالى مقام المؤمنين المجاهديـن في سبيله فجعلهم بفضله مالكيـن معه، ومبايعين له، ومستحقين للثمن الذي بايعهم به، وأكّد لهم أمرَ الوفاء به وإنجازه.(١)

المبحث الثالث: المعنى المجمل للآية

لقـد جعـل الله الجهادَ والنفقة فـي سبيله صفقتين، قـد كتبهما على نفسه فيمـا أنزله على موسـى وعيسى ومحمد عليهـم الصلاة والسلام، وعدًا حقًّا عليه أن يُدخـل الجنة مَنْ قَبِلَ بهاتين الصفقتين، ولا أحد أشدّ وفاء من الله جل جلاله؛ فمن قَبِلَ فقد ربح ربحا كبيرا، فَلْيَفرح، ولْيُعْظِمْ فرحته بصفقته هذه؛ فما بعدها إلا الفوز العظيم، الفوز برضا الله العلي الكبير.

المبحث الرابع: الدروس والعبر المستفادة

أ- رسالـة الإسلام رسالة بنـاء وإصلاح، واستقامـة؛ فمن التزم بأصولهـا وعمل بموجبها، وجاهـد الأعداء ظفر بخيري الدنيـا والآخرة؛ ففي الدنيا تكون له العـزة والسيادة، وفي الآخـرة يكون من الخالدين في جنات النعيم. وإنه من رحمته تعالى أنْ خلق أنفسا، ورزق أموالا، ثم اشتراها من أصحابها بثمن غالٍ. وكان قتادة يقول في هذه الآية: «ثامَنَهُم الله، فأغلى لهم الثمن»(٢).

ب- المعاملـة مـع الله تعالى كالبيع والشراء؛ فلا يترك العبـد شيئا أو يفعله إلا رجاء الربح، والله غنـي عـن أنفس الخلق وأموالهم، ليسَ كما ادعى البعض أنه إنما يعبد الله حبا به، لا خوفا من عقابه.

ج- الجهـاد ذروة سنـام هذا الدين، وكانـوا يعدّون تركه معرّةً لا تنفكّ عـن صاحبها، إلا أن

---

(١) تفسير المنار (٤٨/١١).

(٢) تفسير الطبري (٦/١٢): قال ثنا سويد، أخبرنا ابن المبارك، عن محمد بن يسار، عن قتادة...فذكره.

يُنزل الله توبته على المتخلفين، كما وقع لكعب بن مالك وأصحابه. وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يشبّه القاعدين عنه بالأعراب، وإنْ سكنوا الأمصار. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: بعثني الأشعريّ إلى عمر، فقال عمر: «كيف تركت الأشعري؟» قال: فقلت له: تركته يعلّم الناس القرآن، فقال عمر: «أما إنه كيّس، ولا تُسمعها إياه» ثم قال عمر: «كيف تركت الأعراب؟» قال: قلت: الأشعريين؟ قال عمر: «لا، بل أهل البصرة» قال: قلت: أما إنهم لو سمعوا هذا لشقّ عليهم. قال عمر: «فلا تبلغهم، فإنهم أعراب[1] إلا أن يرزق الله رجلا جهادًا في سبيل الله»[2].

د- الإنسان بطبيعته لا يهوى لقاء العدو، ولكن الله كتب على المسلمين القتال وهو كُره لهم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦). فالأصل في القتال أن النفس تكرهه، وإنما أحبه من أحبه من أكابر هذه الأمة لمَا علموا من جزيل أجره؛ فأحبوا ما فيه تلف أنفسهم لله خالقهم. قال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[3].

ذلك حين تكون معركة كفر وإيمان، وليس قتال فتنة وإزهاق أنفس في سبيل مآرب شخصية، تحت رايات عِمِّيَّة، أو خارجيّة؛ فالخوارج كانوا يرون عملهم الفاسد جهادًا وقربة، والحق أنه قربة من النار، مباعدة عن الجنة، وهذا مصير من يستكبر عن الاهتداء بهدي الصحابة؛ فإنه يضل السبيل، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

وقد كان الغرور والاعتداد الزائف بالنفس من أبرز صفات الخوارج؛ ولذلك مالوا كل الميل عن هدي الذين سبقوهم بالإيمان، حتى سلّطوا سيوفهم عليهم، وطاعنوهم، وَسَلِمَ من سيوفهم أهلُ الأوثان، حتى كانوا من أشد الناس تعظيما لحرمة غير المسلم، وأشدهم تهاونا في المسلمين.

عن أبي مجلز قال: بينما عبد الله بن خباب في يد الخوارج إذ أتوا على نخل، فتناول رجل منهم تمرة فأقبل عليه أصحابه، فقالوا له: أَخَذْتَ تمرةً منْ تَمْرِ أهل العهد!! وأتوا على خنزير، فَنَفَحَهُ رجلٌ منهم بالسيف، فَأَقْبَلَ عليه أصحابه، فقالوا له: قَتَلْتَ خِنزيرًا من خنازير أهل العهد!!

(١) المراد منه التشبيه بفعل الأعراب الذين كانوا يجهلون أمر دينهم؛ لبعدهم عن مكان إقامة رسول الله ﷺ وأصحابه، ثُمّ بقي هذا الوصف لمن جاء بعدهم وتلبس بشيء من صفاتهم الغير محمودة، ولو كانوا ممن يسكن الأمصار. وأصل التعرّب هو سكنى البادية، وقد كان مذموما محرَّمًا في أول الإسلام لما فيه من التخلف عن ركب المسلمين، ثم أذِن رسول الله ﷺ لبعض أصحابه بالبدو، وأخبرهم بأنه يكون من خير الأعمال في آخر الزمان؛ لما فيه من بُعدٍ عن مواطن الفتن. انظر ((صحيح البخاري)) (٥٢/٩) باب التعرّب في الفتنة.

(٢) ( ) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات)) (١٠١/٤) من طريق هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك به. وهو صحيح.

(٣) ( ) أخرجه البخاري (٣٠٢٤) – كتاب الجهاد والسير. وأخرجه مسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

قال: فقال عبد الله: ألا أخبركم بمن هو أعظم عليكم حقا من هذا؟ قالوا: من؟! قال: أنا! ما تركتُ صلاةً ولا تركتُ كذا ولا تركتُ كذا. فقتلوه...[1]

هـ- طريق البذل صعب، ومحفوف بالمكاره وتثبيط شياطين الجن والإنس؛ ولذا كان الجزاء غاليا. عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فقعَدَ لَهُ بطَرِيقِ الإِسْلَام، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ قَالَ: فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ، وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[2].

و- النصوص في فضل الجهاد كثيرة، وهذه الآية أوضح وأبلغ شيء في الباب، فلو لم يكن سواها لَكَفَتْ وَوَفَّتْ.

الخاتمة

الحمد لله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم التي خلقها لهم، وأموالهم التي رزقها لهم، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذه أهم النتائج:

١- الفوز العظيم هو نيل رضا الله تعالى، واتّباع من رضي الله عنهم سبيل إلى هذا الفوز.

٢- وعد الله المؤمنين والمؤمنات عامة جنات خالدين فيها ، وخاصّةَ عبادِه مساكنَ طيّبةً في جنات عدن.

٣- عطف الله ذكر المؤمنات على المؤمنين لبيان فضيلة المرأة المؤمنة.

٤- جنة عدن هي جنة الفردوس وسط الجنة مكانًا وأعلاها رتبة.

٥- لا تقوم قائمةُ خيرٍ للآخِرين إذا حادوا عن هدي الأولين.

---

(١) مصنف ابن ابي شيبة (٤٠٧٣٤) قال: حدثنا ابن علية عن التيمي عن أبي مجلز.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (١٥٩٥٨) وقوّى إسناده محققو طبعة الرسالة.

٦- وعد الله موصول لمن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان.

٧- أوجب الله جهاد النفس والمال في سبيله، وأمر الممتثلين بهذا الواجب بالبِشر والفرح؛ لأنهم ضمنوا به الفوز السرمدي.

٨- المعاملة مع الله تعالى كالبيع والشراء؛ فلا يترك العبد شيئا أو يفعله إلا رجاء الربح، والله غني عن أنفس الخلق وأموالهم.

التوصيات

١- الحاجة ماسة اليوم إلى تذكير المسلمين عامة، وأهل الدعوة خاصة أن ما يبذلونه في طاعة الله من جهد، وما ينفقونه من أموال في سبيل الله، وما يصبرون عليه من كيد العداة، لن يذهب أدراج الرياح، ولكن سيجدون عند الله ما وعدهم من الخير الأبدي.

٢- إنه من يُرِدْ نيل الفوز العظيم فعليه بالأسوة الحسنة؛ فهي سبب رئيس للثبات على الحق، وتوفيقِ الله تعالى، وقد تاه كثير من الناس من المتقدمين والمتأخرين وتزعزع ثباتهم بسبب ضياع الأسوة الحسنة من منهجهم، أو اتخاذهم رجلا ليس أهلًا مع التأثر بفتور الناس العام؛ ولذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «أَلَا فَلَا يُقَلِّدَنَّ رَجُلٌ منكم دِينَهُ رَجُلًا إِنْ آمَنَ: آمَن، وَإِنْ كَفَرَ: كَفَر، فإن كنتم لابدّ فاعلين فببعض من قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»[1].

وقال: «لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم عن أصحاب محمد ﷺ، ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا»[2].

٣- اليقين بمعية الله تعالى ونصره ما التزم المرء بما كان عليه الأمر الأول، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧).

روى محمد بن سيرين: أن عمر بن الخطاب قال: «لأعزلن خالد بن الوليد، والمثنى مثنى بني شيبان؛ حتى يعلما أن الله إنما كان ينصر عبادَه، وليس إيّاهما كان ينصر»[3].

ويروى أن أم المؤمنين عائشة كانت تثني على ابن عمر وتقول: «ما رأينا أَلْزَمَ للأمرِ الأول[4]

---

(١) أخرجه أبو داود في ((الزهد)) (١٣٢) من طريق الأعمش عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن ابن مسعود به. وأخرجه الطبراني في ((الكبير)) (٩/١٥٢) من هذه الطريق، وإسناده جيد أو صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في ((المصنف)) - أو جامع معمر بن راشد - (٩/١٠٨) عن معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قال سمعت ابن مسعود يقول...فذكره.

(٣) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات)) (٣/٢٦٤) من طريق حماد بن زيد، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد بن سيرين...فذكره. وهو صحيح مُرسَل.

(٤) تعني بعدما مات أكثر الكبار من الصحابة، وكانت تتمثل قول لَبِيد بن ربيعة: ذهب الذين يُعاش في أكنافهم××× وبقيت في خَلفٍ

من عبد الله بن عمر»[1].

٤- الإعداد الإيماني والتكوين البنياني والفهم الشرعي الذي لا غلو فيه ولا جفاء؛ فهو القاعدة الصلبة لانطلاق هذا الدين للبشرية جمعاء.

٥- الحذر من ابتغاء رضا الناس بسخط الله تعالى؛ فمن سخط الله عليه وكله إلى الناس، ومن ابتغى رضا الله بسخط الناس، كفاه الله الناس.

٦- تشريف أهل الإيمان والدعاة إلى الخير، ليكون المؤمن عونًا لأخيه على البر في طريق الحق، وإذا رأى من بعضهم ما يكره فإنه يَنصح، ولا يكون عونًا للشيطان على إخوانه.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أحكام القرآن – لأبي بكر بن العربي – دار الكتب العلمية – الطبعة الثالثة ١٤٢٤ه.

٣. إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – دار إحياء التراث العربي.

٤. أسباب نزول القرآن – للواحدي – دار الإصلاح – الطبعة الثانية ١٤١٢ه.

٥. البيان في عد آي القرآن – للداني – مركز المخطوطات والتراث – الكويت – الطبعة الأولى ١٤١٤ه.

٦. التحرير والتنوير – لابن عاشور – الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤م.

٧. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم – لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم – جامعة الشارقة – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

٨. التفسير الوسيط – لسيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧-١٩٩٨م.

٩. التفسير الوسيط – لوهبة الزحيلي – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.

١٠. الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – دار الكتب المصرية – الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ.

١١. الدر المنثور – للسيوطي – دار الفكر – بيروت.

١٢. الزهد – لأبي داود – دار المشكاة – الطبعة الأولى ١٤١٤ه.

=كجلد الأجرب. رواه عبد الرزاق في ((المصنف)) – أو جامع معمر بن راشد – (١٠٨/٩) عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة به. وفيه: ثم تقول عائشة: "فكيف لو أدرك لبيد من نحن بين ظهرانيه؟».

(١) أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (٤٦٣/٦) من طريق عبد الله بن عمر العُمَري عن أبي النضر عن أبي سلمة عن عائشة به. والعُمَري صدوق.

١٣.السنن – لابن ماجة - دار التأصيل - الطبعة الأولى ١٤٣٥ه.

١٤.السنن الكبير – للبيهقي - مركز هجر للبحوث - الطبعة الأولى ١٤٣٢ه.

١٥.الطبقات الكبير – لابن سعد - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى ١٤٢١ه.

١٦.العين – للفراهيدي - دار ومكتبة الهلال.

١٧.القاموس المحيط – للفيروزآبادي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثامنة ١٤٢٦ه.

١٨.القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز – للمخللاتي - مطابع الرشيد ١٤١٢هـ.

١٩.الكشاف – للزمخشري - دار الكتاب العربي - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٢٠.المستدرك على الصحيحين – للحاكم - دار التأصيل - الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

٢١.المسنَد - لابن الجعد - مؤسسة نادر – بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٢.المسنَد – للإمام أحمد - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣.المصنَّف – لعبد الرزاق - دار التأصيل - الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

٢٤.المصنَّف، لابن أبي شيبة - دار كنوز إشبيليا – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

٢٥.المعجم الكبير – للطبراني - مكتبة ابن تيمية – القاهرة - الطبعة الثانية.

٢٦.النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - المكتبة العلمية – بيروت - ١٣٩٩هـ.

٢٧.أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٨.بحر العلوم – للسمرقندي - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٩.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – للفيروزآبادي - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩٣-١٤١٦هـ.

٣٠.تفسير ابن أبي حاتم - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ.

٣١.تفسير ابن كثير - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٣٢.تفسير الطبري - دار هجر - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٣.تفسير المنار - دار المنار - الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ.

٣٤.تفسير عبد الرزاق الصنعاني - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٥.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٦.جامع البيان للإيجي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣٧.زاد المسير – لابن الجوزي - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٨.سنن سعيد بن منصور - دار الألوكة للنشر - الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٣٩.صحيح البخاري - دار طوق النجاة - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٠. صحيح مسلم - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤١. فتح القدير – للشوكاني - دار ابن كثير - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٢. لسان العرب – لابن منظور - دار صادر - الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٤٣. محاسن التأويل – للقاسمي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٤. معالم التنزيل – للبغوي - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٤٥. معاني القرآن – للفراء - دار المصرية للتأليف والترجمة - الطبعة الأولى.

٤٦. مفاتيح الغيب – للفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

أ. م.د. محمود صفا الصياد العكلا
وكيل التعليم بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الاسطرلاب الدولية
أستاذ الفقه المقارن ومدير التعليم في مجمع الإمام البخاري للدراسات الإسلامية

جهود المملكة العربية السعودية في العناية بالقرآن والسنة

تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فإن هذا القرآن نعمة عظيمة من النعم الإلهية، ولا يقدرها حق قدرها إلا من ذاق حلاوتها.

وإن قراءة كتاب الله تعالى لمن أرفع درجات ذكر الله تعالى، فما ذكره الذاكرون بمثل قراءة كلامه، ولذلك كان فضلها عظيمًا.

وقد قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [1].

وهذا ثواب من قرأ، فكيف بمن كان يقرأ ليتعلم أو يعلم، فيزداد الأجر بنيل ثواب العلم مع القراءة.

ومما يدل على ثواب وفضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه؛ قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٩).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن برقم (٢٩١٠).

وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

وعنه: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمّل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (فصلت: ٣٣). والدعاء إلى الله تعالى يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع»[٣].

وقد سئل الثوري عن الجهاد وإقراء القرآن، فرجح الثاني واحتج بهذا الحديث[٤].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق فيأتي معه بناقتين كوماوين، في غير إثم ولا قطع رحم؟» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خيرٌ له من ناقتين، وثلاث خيرٌ له من ثلاث، وأربع خيرٌ له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[٥].

ولشرف تعلم القرآن الكريم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع به، وهو عليه شاق له أجران»[٦].

قال الإمام القرطبي: «التتعتع: التردد في الكلام عيًّا وصعوبة. وإنما كان له أجران من حيث التلاوة، ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان القرآن متعتعًا عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة»[٧].

وقد جاء أجر تعليم القرآن منصوصًا عليه صراحة، حتى لو كانت آية واحدة في قوله صلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٢٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث- القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ- ١٩٩٦م، ٦٩٤/٨.

(٤) فتح الباري ٦٩٥/٨.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين، باب: قراءة آية من كتاب الله تعالى، برقم (٨٠٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: التفسير سورة عبس رقم (٤٩٣٧) بلفظ: مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له.. . وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل الماهر بالقرآن برقم (٧٩٨).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ١٩/١.

الله عليه وسلم: «من علّم آية من كتاب الله تعالى كان له ثوابها ما تُليت»[1].

وكذلك الأجر في تعلم السنة وتعليمها؛ لأن تعلم العلم كله فيه أجر، والعلم يؤخذ من الكتاب ويؤخذ من السنة.

والسنة إذا تعلمها المؤمن فقرأ الأحاديث ودرسها كان له أجرٌ عظيمٌ؛ لأن هذا من تعلم العلم. يقول النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»[2].

وهذا يدل على أن دراسة العلم، وحفظ الأحاديث، والمذاكرة فيها من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

وهكذا قول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[3].

والفقه في الدين يكون من طريق الكتاب أو يكون من طريق السنة، والتفقه في السنة من الدلائل على أن الله أراد بالعبد خيرًا، كما أن الفقه في القرآن الكريم دليل على ذلك، والأدلة في هذا كثيرة ولله الحمد[4].

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/٣٢٣ برقم (١٣٣٥) وقال أخرجه سهل القطان في حديثه عن شيوخه (٤/٢٤٣/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن برقم (٤٨٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين برقم (٦٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة برقم (١٧١٩).

(٤) من كلام الشيخ ابن باز رحمه الله في جواب سؤال، عن فضل دراسة السنة، في برنامج نور على الدرب.

الفصل الأول:

عناية المملكة بالقرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: مكانة القرآن الكريم في التشريع الإسلامي.

المبحث الثالث: مظاهر عناية المملكة بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحًا.

القرآن الكريم لغة:

اختلف العلماء في المعنى اللغوي للقرآن الكريم على أقوال:

- منهم من قال إن القرآن اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله تعالى، فهو غير مهموز، وهو بذلك اسمٌ اختص الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النبي ﷺ، كما في أسماء الكتب الأخرى: التوراة والإنجيل. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٩).

واختار هذا القول ابن كثير والسيوطي وذكر أنه يروى عن الشافعي.

- ومن العلماء من ذهب إلى القول أن القرآن اسم مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وقال الفرّاء: هو مشتق من القرائن؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضًا، ويشابه بعضها بعضًا.

- وقيل بأنه لفظ مهموز، وهو مشتق من قرأ ومصدرٌ له.

وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ (القيامة).

وهذا ما ذهب إليه اللحياني وغيره[٥].

- وذهب الزجاج وغيره إلى القول بأن القرآن هو وصف على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، منه: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسمي القرآن بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، أو لأنه جمع ثمرات وفوائد الكتب السماوية التي نزلت قبله، وهذا قال به الراغب

(٥) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، دار الكتاب العربي عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ١/١٨٨.

الأصفهاني[1].

القرآن الكريم اصطلاحًا:

يُعـرّف العلمـاء والأصوليون القـرآن الكريم في الاصطلاح بتعاريف متعـددة وبعضهم يزيد فيه وبعضهم ينقصه. ومن هذه التعاريف: هو كلام الله المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف والمنقول عنه بالتواتر والمتعبد بتلاوته[2].

المبحث الثاني: مكانة القرآن الكريم في التشريع الإسلامي.

إن فضـل القـرآن الكريـم وشرفـه، ورفيـع قدره، وعلـو مكانته أمـرٌ لا يخفى علـى أحد من المسلميـن، فهو كتاب رب العالمين، وكلام خالق الخلق أجمعين. فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

وقـدر القرآن وفضله هو بقدر الموصوف به وفضلـه، فالقرآن كلام الله تعالى وصفته، وكما أنه تبارك وتعالى لا سميّ له ولا شبيه في أسمائه وصفاته. فلا سميّ له ولا شبيه في كلامه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى: ١١).

قـال أبـو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه وذلك أنه منه»[3].

والواجب على كل مسلم تعظيم القرآن ومحبته والإقبال على قراءته وتدبره يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله عز وجل فليعرض نفسه على القرآن فإن أحب القرآن فهو يحب الله عز وجل، فإنما القرآن كلام الله عز وجل»[4].

وقد تعهد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم إلى أن يرفعه إليه، فقيّض له رجالًا أمناء حفظوه

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم- دمشق، الطبعة الثالثة، عام: ١٤٢٣، ص٦٦٨-٦٦٩.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٨/١.
لمحات في علوم القرآن د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ص٢٥.
شرح الكوكب المنير لمحمد بن أحمد الفتوحي، مكتبة العبيكان- الرياض. عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ٢/ ٧-٨، إرشاد الفحول لمحمد بن علي الشوكاني دار الكتبي الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ- ١٩٩٢م، ١/ ١٤١-١٤٣.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، الدار السلفية: بومباي عام ١٤٢٩هـ- ٤/٣٢٩ برقم (٢٠١٨).

(٤) انظر السنة لعبد الله بن أحمد، دار ابن القيم- الدمام الطبعة الأولى- ١٤٨/١ برقم (١٢٥).

فـي صدورهـم وسطورهم، فصانه بهم مـن أن تمتد إليه يد التحريف أو التصحيـف أو التغيير أو التبديل.

كما وعد الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

والقرآن الكريم مصدر التشريع الأول:

قـال تعالـى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء: ٥٩).

وفـي الآيـة دليل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله، ولا باليوم الآخر[١].

وفـي الآيـة: أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الديـن وفروعه إلى الله والرسول، أي إلـى كتاب الله، وسنـة رسوله صلى الله عليه وسلم، ففيهما الفصل فـي جميع المسائل الخلافية، إمـا بصريحهما أو عمومهما أو إيماءً، أو تنبيهًـا، أو مفهومًا، أو عموم معنى يقاس عليه، وما أشبه ذلك[٢].

وقـال تعالـى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (الأنعام).

والحَكَـم: هو الحاكم الذي يفصل في القضايا والخصومات، والحَكَم أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بالحَكَم إلّا من يحكم بالحق[٣].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ أي مبينًا فيه الحق من الباطل، والحلال من الحرام، وغير ذلك من الأحكام، بحيث لم يبق من أمور الدين شيء من التخليط والإيهام، فأي حاجـة بعد ذلك لحكم غير الله، وهذا كما ترى صريـح في أن القرآن الكريم كافٍ في أمر الدين، مغن عن غيره ببيانه وتفصيله[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٣/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي- دار الميمان للنشر والتوزيع- الطبعة الثانية عام ١٤٣٦هـ ص٢٧٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٤٣ مادة حَكَمَ.

(٤) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٧٧/٣.

والقرآن هو الأصل الأول الذي ترجع إليه الأحكام الشرعية.

وهو أصل الأدلة كلها، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (النحل: ٨٩).

ففيه البيان لجميع الأحكام، ثم السنة هي المخبرة عن حكم الله تعالى، لأن السنة جاءت لبيان القرآن وتفسيره، وتفصيل ما أجمل فيه.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣-٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ (النحل: ٤٤).

ثم الإجماع والقياس وهما مستندان إلى الكتاب والسنة[١].

المبحث الثالث: مظاهر عناية المملكة بالقرآن الكريم.

المطلب الأول: إنشاء الكليات والمعاهد المختصة بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وإشراف وزارة الشؤون الإسلامية عليها.

المطلب الثالث: إقامة مسابقة دولية لحفظ وتلاوة تجويد وتفسير القرآن الكريم.

المطلب الرابع: نشر المصاحف وإصدار البحوث والدراسات في علوم القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وتوزيعها في العالم.

المطلب الأول: إنشاء الكليات والمعاهد المختصة بالقرآن الكريم.

عنيت المملكة عناية خاصة بكتاب الله تعالى، وشجعت أبناءَها على تلاوته وحفظه والعمل بأحكامه. وتبين لنا ذلك من عدة نواحي:

أولًا: تنفرد المملكة العربية السعودية من بين دول العالم كله بأن مناهجها الدراسية في كل مراحل التعليم العام والجامعي والعالي تُعطي لكتاب الله بصفة خاصة، وللعلوم الدينية بصفة عامة مكانة، مميزة ونصيبًا من الدراسة أثمرت أجيالًا تتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهاجًا وسلوكًا في حياتها.

(١) تسهيل الوصول إلى الرسالة المختصرة في علم الأصول لعبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي- الطبعة الأولى، عام ١٤٣٢هـ- ص ٢١-٢٢.

ثانيًـا: وقد أقامت المملكـة مدارس نظامية لتحفيظ القرآن الكريم. توليه العناية اللائقة به وتحافظ عليه من الضياع وتنشره في صدور أبناء المسلمين.

وتمتاز هذه المدارس بسهولة انتقال الطالب من مدارس تحفيظ القرآن إلى مدارس التعليم العام دون قيد أو شرط.

ولقد أجملت اللائحة الداخلية لمدارس تحفيظ القرآن الأهداف منها ونصها.

تؤسسـ مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المرحلة الإبتدائية، والمتوسطة والثانوية، لتحقق إلى جانب أهداف التعليم العام الأهداف التالية:

١- النصيحـة لكتـاب الله تعالـى بصيانته ورعايـة حفظه وتعهـد علومه تحقيقًـا لمقاصد السياسة التعليمية في هذا المجال وأهدافها.

٢- تربيـة الناشئ تربيـة إسلامية تهدف إلى رعاية نموه خلقيًـا وفكريًا واجتماعيًا في ضوء العقيدة الإسلامية، وتعهد تنشئته ومساعدته على تكوين شخصيته.

٣- تزويـد الناشئ ما يحتاج إليه من العلوم والآداب والفنون والتدريبات العملية، حتى يكون أفراد الجيل مواطنين صالحين مؤمنين بالله مدركين لواجباتهم وحقوقهم، معتزين بإسلامهم.

٤- إعـداد الطالـب للحياة العامة وإكسابه المهارات العلمية وإعـداده للدراسات العلمية في المراحل التعليمية المختلفة[١].

ثالثًا: أسست المملكة بالجامعات أقسامًا تعنى بكتاب الله وعلومه ثم توّج ذلك بتأسيس كلية خاصـة بالقرآن الكريم وعلومه فـي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عام ١٣٩٤هـ وهي الكلية الأولى من نوعها في جامعات العالم.

وتهـدف إلى العناية بكتاب الله عز وجل حفظًا وتفسيرًا، وإعداد العلماء المتمكنين في علوم القـرآن الكريم، وتأهيل القرّاء لاستيعاب القراءات المتواتـرة عرضًا وتوجيهًا، مع المعرفة التامة برسم المصحف وضبطه وعدّه، والإلمام بالعلوم التي تساعد على ذلك[٢].

وتستقبـل الكلية طلابها من سائر أنحاء العالم ليعودوا إلى بلادهم بعد تخرجهم فيها بخير ما يتزوّد به المسلم.

يقول د. عبد العزيز القاري:

(١) نشرة التوثيق التربوي عن وزارة المعارف العدد ٤٣-٤٤ سنة ١٤١٣هـ.

(٢) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٩هـ طبع مؤسسة المدينة للصحافة.

كان إنشـاء هـذه الكلية فكرة رائدة في هـذا المجال، إذ أن كل غيور علـى كتاب الله مشفق علـى حماه، كان يعلم مدى انصراف الناس منـذ عقد من الزمن عن علومه وفنونه، ولا سيما علم القراءات وعلم الرسم والضبط والفواصل، فعزَّ وجود العالم بهذه العلوم المتضلّع منها، فضلًا عن وجود المحقق المتبحر.

وأصبـح الحال حينذاك باعثًا على القلق والخوف على كتاب الله تعالى: كما خاف الصحابة الكرام عليه لما رأوا القتل استحرّ في القراء في الغزوات، وبخاصة وقعة اليمامة. وكان القرّاء من الصحابـة في مقدمة صفوف الجهاد دائمًا. ولكـن مع الفارق بين الحالين: إذ كان حال الصحابة كمـا وصفت، بينما حالنا أن الخوف وقع على القرآن وعلومه لما تمادى الناس في الغفلة عن كتاب الله، وانصرفوا عنه إلى ظاهر من الحياة الدنيا[١].

وكان لوجود هذه الكلية في المدينة المنورة نظرة خاصة تزيد من قدرها وتعلي من شأنها.

المطلب الثاني: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وإشراف وزارة الشؤون الإسلامية عليها.

إنشاء الجمعيـات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وهي منتشرة في أنحاء المملكة وتشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

تتلخص أهدافها فيما يلي:

١- تعليم القرآن الكريم لأبناء المسلمين تلاوة وتجويدًا وتفسيرًا.

٢- تحفيظ القرآن الكريم للناشئة.

٣- إعداد المدرسين الأكفاء لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه.

٤- تهيئة قرّاء وحفظة لإمامة المصلين في الصلاة.

٥- تهذيب أخلاق الناشئة بما يتعلمون من كتاب ربهم.

٦- إحياء جانب مهم من جوانب رسالة المسجد.

وفـي إطار ذلك وضعت الحوافز المادية لحفظ كتاب الله؛ ليكون دافعًا لبذل الجهد وصرف الوقت في دراسة القرآن الكريم.

ولقـد أنيط بوزارة الشـؤون الإسلاميـة والدعوة والإرشـاد الإشراف على هـذه الجمعيات، فأولتها اهتمامها ورعايتها، وشجعت الناس على إلحاق أبنائهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

---

(١) مجلة كلية القرآن الكريم ص٣٠٦ مطابع الجامعة عام ١٤٠٢-١٤٠٣هـ.

وقـد قامت الـوزارة بعدة خطوات لتطوير لائحة الجمعيات من خلال التجربة التي مرت بها، وكيفية النهوض بها وتطويرها.

وتتولى الوزارة الإشراف على الجمعيات الخيرية للأغراض التالية:

١- متابعـة نشاط الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريـم، ومراكزه الخاصة بالمملكة، وتوجيهه بما يضمن ازدهاره وتطويره.

٢- الإسهـام فـي تطوير الدعـم المالي للجمعيـات الخيرية، عن طريق مـا يخصص لذلك مـن الميزانية السنويـة للوزارة، كما أنشأت الوزارة صندوقًا خيريًـا لاستقبال تبرعات المحسنين وهباتهـم وأوقافهـم وما يوصون بـه لجمعيات تحفيظ القـرآن الكريم في أنحـاء المملكة العربية السعودية[١].

المطلب الثالث: إقامـة مسابقـة دوليـة لحفـظ وتـلاوة وتجويـد وتفسيـر القرآن الكريم.

انطلاقًـا من الاهتمـام بالقرآن الكريم والتشجيع على حفظه، فقـد أنشأت المملكة مسابقة دوليـة لحفظ وتـلاوة وتجويد وتفسيـر القرآن الكريم. وذلـك بإشراف وزارة الشـؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

وتقام في كل عام في مكة المكرمة في خمسة فروع وتشرف عليها لجنة تحكيم دولية.

وفروع المسابقة خمسة، وهي:

١- حفـظ القـرآن الكريم كامـلًا، مع التجويد والترتيـل، وتفسير جزء من القـرآن الكريم، يحدد كل عام.

٢- حفظ القرآن الكريم كاملًا، مع التلاوة والتجويد.

٣- حفظ عشرين جزءًا من القرآن الكريم، مع التلاوة والتجويد.

٤- حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم، مع التلاوة والتجويد.

٥- إجـادة ترتيل القرآن الكريم مع حسن الصـوت والتنغيم، وحفظ جزء واحد متصل على الأقل.

وهـذا الاحتفال السنوي بالقرآن الكريم يجري بدعـم سخي من خادم الحرمين الشريفين.

---

(١) انظر كتاب الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، الصادر عن الإمانة العامة للمجلس الأعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ص٤.

نابـع من استشعار المسؤولية العظمــى تجاه القرآن الكريم وحملتــه، وتحقيقًا للمبادئ والأهداف السامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

المطلب الرابع: نشر المصاحف وإصدار البحوث والدراسات في علوم القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وتوزيعها في العالم.

أمــام ازدياد حاجة العالــم الإسلامي إلى المصحف الشريف، وترجمــة معانيه إلى مختلف اللغــات التي يتحــدث بها المسلمون، والعناية بــكل علومه، وكذلك خدمة السنــة والسيرة النبوية، ونهوضًا من المملكة بدورها الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين.

قــام الملــك فهد رحمــه الله بوضع حجــر الأساس، لمجمــع الملك فهد لطباعــة المصحف الشريف بالمدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ. وافتتحه عام ١٤٠٥هـ..

وبلغــت تكلفتــه على مــا يزيد على الألف مليــون ريال، وتبلــغ الطاقة الإنتاجيــة للمجمع نحو عشرين مليون نسخة سنويًا.

ويُعــد إنشاء مجمــع الملك فهد لطباعة المصحــف الشريف من أجلّ صــور العناية بالقرآن الكريم إقراءً وطباعة وتوزيعًا على المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة.

أما أهم أهدافه فهي:

١- طباعة المصحف الشريف بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي.

٢- ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى أهم اللغات وأوسعها انتشارًا وطباعتها.

٣- تسجيل تلاوة القرآن الكريم بأصوات مشاهير القراء.

٤- إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية المطهرة.

٥- نشر إصدارات المجمع على الشبكات العالمية.

٦- تلبية حاجة المسلمين في الداخل والخارج من إصداراته المختلفة(١).

وقــد بلغ إجمالي عدد إصــدارات المجمع من المصاحف وغيرها حتى مطلع ربيع الآخر عام ١٤٣٥ه (٣٨٣) إصــدارًا منهــا: المصاحــف، والبرامج الحاسوبيــة، والأجزاء، وربــع يس والعشر الأخير، والمرتلات، وترجمات معاني القرآن الكريم، وتسجيلات الترجمات، والكتب(٢).

(١) بحث أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي، الأمين العام لمجمع الملك فهد، ص٤٤٠ ضمن فعاليات ندوة: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، المنعقدة في مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢١ه.

(٢) انظر بحث جهود مجمع الملك فهد في طباعة المصحف الشريف ورقيًا، أ. محمد سعيد أحمد مبارك، ضمن ندوة طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول، المنعقدة في مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، عام ١٤٣٦ه.

كما اهتم المجمع أيضًا بتفسير القرآن الكريم بلغة الإشارة والتي تعنى بالصم، وذلك لبعض سور القرآن الكريم التي يكثر شيوعها وقراءتها في الصلوات، والاهتمام بالموضوعات المهمة في أبواب الاعتقاد والعبادات. والمعاملات والآداب والأخلاق التي تحتاج إليها هذه الفئة من المجتمع.

كما اهتم المجمع أيضًا بالمكفوفين فبدأ بطباعة المصحف الشريف بطريقة «برايل».

وأشـار مسؤول الإعلام والعلاقات بالمجمع أن طباعة المصحف تمر بخمس مراحل، تهدف في جميعها الوصول إلى الدقة المتناهية لكتابته، والتي تستغرق من عامين إلى ثلاث سنوات، حتى يخـرج فـي صورته الحالية، من خلال رقابـة علمية وفنية، على كافة أجـزاء المصحف، يقوم بها خمسمائة موظف في قسم المراقبة النهائية[١].

الفصل الثاني: عناية المملكة بالسنة النبوية وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف السنة لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي.

المبحث الثالث: علاقة المملكة بالسنة النبوية وحرصها على ذلك.

المبحث الرابع: مظاهر عناية المملكة بالسنة النبوية.

المبحث الأول: تعريف السنة لغة واصطلاحًا.

السنـة فـي اللغة: الطريقة حميدة كانت أو ذميمة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة... الحديث»[٢].

السنة اصطلاحًا:

وهي في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية[٣].

السنة القولية: كقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات... الحديث»[٤].

(١) انظر موقع الشرق www.alsharq.com ٢٠١٥/٩/١٦.

(٢) القاموس المحيط ٢٣٩/٤، المصباح المنير للفيومي، مكتبة لبنان ص١١١، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب: من سنّ في الإسلام سنة حسنة، برقم (١٠١٧).

(٣) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للقاسمي، طبع البابي الحلبي عام ١٣٨٠ه ص٣٥-٣٨. توجيه النظر إلى علوم الأثر لطاهر الجزائري طبع مصر ١٣٢٨ه ص٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، برقم (١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد، باب إنما الأعمال بالنية، برقم (١٩٠٧).

وأمـا السنـة الفعلية فهـي ما صدر عنه صلـى الله عليه وسلم من أفعال مثـال ذلك: صلاته وحجه المبينة لمجمل القرآن.

وأما السنة التقريرية: فهي ما صدر عن صحابي أو أكثر من أقوال وأفعال علم بها النبي صلى الله عليـه وسلم، فسكت عنها ولم ينكرهـا، أو وافقها وأظهر استحسانه لهـا. مثال أكل الصحابة الضب على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم ذلك[1].

وأمـا مثـال الوصـف الخُلقي: فما رواه البخـاري عن أنس بن مالك قال: لـم يكن النبي ﷺ سبابًا ولا فاحشًا ولا لعانًا، وكان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ماله ترب جبينه»[2].

ومثـال الوصـف الخَلقي: ما رواه البخاري عن أنس قـال: كان رسول الله ﷺ «ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»[3].

وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

وفـي اصطـلاح الفقهاء: ما يقابل الفرض، أو ما طلب النبي صلـى الله عليه وسلم فعل طلبًا غير جازم، كالأذكار والسنة، الرواتب، والسواك ... إلخ.

وقـد تطلـق عندهم على ما يقابـل البدعة، ومنه قولهـم: طلاق السنة كـذا، وطلاق البدعة كذا[4].

ومـرد هـذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي يُعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلمـاء الحديث إنما بحثوا عن رسـول الله ﷺ الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به سواء أثبت حكمًا شرعيًا أم لا.

وعلمـاء الأصـول إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرع، الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلمـاء الفقـه إنما بحثوا عـن رسول الله ﷺ الـذي لا تخرج أفعاله عـن الدلالة على حكم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأطعمة: باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأكل حتى يسمى فيعلم ما هو، برقم (٥٣٩١). ومسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، باب: إباحة الضب، برقم (١٩٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا، برقم (٦٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الطيب للجمعة، برقم (٣٥٤٨) ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل: باب: في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٢٣٤٧).

(٤) انظر البحر المحيط للزركشي، عناية عمر سليمان الأشقر ١٦٤/٤، شرح الكوكب المنير ١٥٩/٢، إرشاد الفحول ١٥٥/١.

شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك [1].

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي.

اتفق علماء الأمة على أن السنة بمجموعها حجة، ومصدر من مصادر التشريع، وقد دل على حجيتها الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والنظر[2].

دلالة القرآن على حجية السنة:

١- أمر الله تعالى بطاعة رسول الله ﷺ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ (النساء: ٥٩).

٢- ونفى الإيمان عمن لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمٗا ٦٥﴾ (النساء: ٦٥).

٣- ورتب الوعيد على من خالف أمره صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ (النور: ٦٣).

٤- وأمر تعالى باتباع أمره، ولزوم طاعته فيما أمر به ونهى عنه، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر: ٧).

دلالة السنة النبوية على حجية السنة:

١- قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[3].

٢- وقوله ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»[4].

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر في حجية السنة، الرسالة للشافعي ص ٧٣ وما بعدها، والمستصفى للغزالي، تحقيق حمزة حافظ ١٢٠/٢ وما بعدها، شرح الكوكب المنير ١٦٧/٢ وما بعدها: إرشاد الفحول للشوكاني ١٥٦/١.

(٣) أخرجه: أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه، في كتب أبواب العلم: باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم (٢٦٧٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، برقم ٧٢٨٨، ومسلم في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب: توقيره وترك إكثار سؤاله، برقم (١٣٢٧).

٣- وقال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»(١).

٤- وقوله ﷺ: «ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»(٢).

٥- وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»(٣).

دلالة إجماع الصحابة على حجية السنة:

والصحابة رضوان الله عليهم لم يفرقوا بين حكم ثبت بالقرآن، وبين حكم ثبت بالسنة فهم يعملون بهما جميعًا.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول للجدة التي جاءت تسأله نصيبها من الميراث: ما لك في كتاب الله من شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء، ولكن أسأل الناس، فسأل، فقام المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة فشهدا أن النبي ﷺ أعطاها السدس(٤).

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إليه: فقالت له: أنت الذي تقول: لعن الله النامصات والمتنمصات والواشمات... الحديث؟ قال: نعم. قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره فلم أجد فيه ما تقول. فقال: إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ قالت: بلى، قال: فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله النامصات ....» الحديث(٥).

وعن الحسن قال: بينما عمران بن الحصين يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ: إذ قال له رجل: يا أبا نجيد حدّثنا بالقرآن، فقال له عمران: أنت وأصحابك تقرؤون القرآن، أكنت مُحدّثي

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٥). والترمذي في سننه، كتاب أبواب العلم: باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٢٦٦٣)، وابن ماجه في سننه في المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ، برقم (١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٢/٤ والترمذي في سننه، كتاب أبواب العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، برقم (٢٦٦٤) وابن ماجه في المقدمة، برقم (١٢).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ بلاغًا، في كتاب القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، برقم (٣)، وأخرجه الحاكم في مستدركه = =موصولًا ٩٣/١. وحسنه الألباني في منزلة السنة في الإسلام ص ١٨.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، في كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة رقم (٤) وأبو داود في سننه، في كتاب الفرائض، باب في الجدة، برقم (٢٨٩٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ برقم (٤٨٨٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، برقم (٥١٢٥).

عـن الصـلاة، وما فيها وحدودهـا؟ أكنت مُحدّثي عن الـزكاة في الذهب والإبـل والبقر وأصناف المـال؟ ولكن شهدتُ وغبـتَ أنت، ثم قال: فرض علينا رسول الله ﷺ وعلـى آله وسلم في الزكاة كـذا وكـذا، قال الرجل: أحييتني أحيـاك الله، فقال الحسن: فما مات ذلـك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين[١].

قـال الشافعـي رحمه الله: ولا أعلم من الصحابة ولا مـن التابعين أحدًا أُخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قبل خبره وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة.

وصنـع ذلك الذين بعـد التابعين والذين لقيناهم كلهم يثبت الأخبار وجعلها سنة، يُحمد من تبعها، ويُعاب من خالفها.

فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله ﷺ وأهل العلم بعدهم إلى اليوم وكان من أهل الجهالة[٢].

وقال أيضًا:

احتـجّ عليّ بعض مـن رد الأخبار بما رُوي أن النبي ﷺ قال: «ما جاءكم عني فاعرضوه على كتـاب الله فمـا وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله»[٣]. فقلت له: ما روى هذا أحدٌ يثبت حديثه في شـيء صغيـر ولا كبير، وإنما هـي رواية منقطعة عن رجل مجهول. ونحـن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء[٤].

دلالة النظر الصحيح على حجية السنة:

كون النبي ﷺ رسول الله: يقتضي تصديقه في كل ما يخبر وهذا نابع من إيماننا به، وأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وقد وضع الله رسوله ﷺ من دينه وفرضه وكتابه الموضع الـذي أبـان جلّ ثناؤه، أنه جعله علمًا لدينه، بما افترض من طاعته، وحرّم من معصيته، وأبان من فضيلته. بما قرن بين الإيمان برسوله مع الإيمان به.

ومـن المُسلّم به أنه قد أخبر وحكم بأمور زائدة على ما في القرآن الكريم، فالتفريق بينهما وبيـن القرآن في وجوب الالتزام بها والاستجابة لهـا، تفريق بما لا دليل عليه، بل هو تفريق باطل، فلزم أن يكون خبره صلى الله عليه وسلم واجب التصديق، وكذا أمره واجب الطاعة.

---

(١) أخرجه الحاكم من مستدركه ١/ ١٠٩-١١٠، والسيوطي في مفتاح الجنة ص٧٣.

(٢) انظر مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة للسيوطي طبع دار النفائس الكويت عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ص ٧٣-٧٤.

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٨٦/١. ونقل عن الصغاني أنه قال: هو موضوع.

(٤) الرسالة للإمام الشافعي ص ٢٢٤، ومفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة ص٤٩.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فمـا كان منها (أي السنـة) زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتـدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيـه ولا تحل معصيتـه، وليس هذا تقديمًا لها على كتاب الله تعالى، بـل امتثال لما أمر الله به من طاعـة رسولـه. ولو كان رسـول الله ﷺ لا يطاع في هـذا القسم لم يكن لطاعتـه معنى، وسقطت طاعتـه المختصـة به. وأنه إذا لم تجـب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيمـا زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص له، وقد قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

وكيف يمكن أحدًا من أهل العلم ألّا يقبل حديثًا زائدًا على كتاب الله تعالى، فلا يقبل حديث تحريـم المـرأة على عمتها ولا علـى خالتها[١]، ولا حديـث التحريم بالرضاعة لـكل ما يحرم من النسب[٢].[٣]

وبعـد عرض هذه الأدلة يظهر للعاقـل أن السنة مصدر ثان من مصـادر التشريع، وما على المؤمنيـن إلا أن يحكموهـا فيمـا شجـر بينهم مع التسليـم التام امتثالًا لأمـر الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ (النساء: ٦٥).

المبحث الثالث: علاقة المملكة بالسنة النبوية وحرصها على ذلك

المملكـة العربيـة السعودية هي قلب أهل السنة والجماعـة، ولا يوجد بلد في العالم عليه من المسؤوليـات، وله من الاحترام والتقدير والمحبة لدى الشعـوب المؤمنة، ما لهذا البلد، لما توافر فيه من خصائص ومميزات.

ومن هذا المنطلق كان حرص الدولة السعودية على نشر علوم السنة النبوية، واستعان الملك عبـد العزيز رحمـه الله بعلماء أهل الحديث في الهند، وكانت بينهمـا رابطة متينة، تربط الجميع بدين الله الحق، وصفاء عقيدة التوحيد، والعلم الموصل إلى ذلك. وصاروا يهدونه بعض إنتاجهم العلمي في شرح السنة النبوية.

كما كان الملك عبد العزيز يسند إليهم الإشراف على طباعة الكتب الدينية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، برقم (٥١٠٨). ومسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب لا يجمع بين المرأة وعمتها برقم (١٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع، برقم (٥٢٣٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب النكاح باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب برقم (١٤٤٤).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ٤/ ٨٤-٨٥.

ثم تطور الأمر بعد التشاور إلى انتشار دار الحديث المدنية، ودار الحديث المكية.

وهـذه الدار ثمرة طيبة من ثمار تعـاون أهل الحديث في الهند مع الملك عبد العزيز وعلماء المملكة[1].

وكان حرص الملك على مثـل هذه الدار، أن يتعلم فيها أبنـاء المسلمين، الوافدين إلى مكة والمدينـة، لكي ينفعوا قومهـم إذا رجعوا إليهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة:١٢٢).

وهذا الاهتمام بسنة النبي ﷺ، وإقامة المدارس المتخصصة بها، نابع من العقيدة السلفية التي تنتهجها المملكة العربية السعودية، والتي من أهم أصولها الاتباع لهدي وسنة النبي ﷺ.

فإن الله تعالى علق قبول الأعمال على ذلك فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (الملك:٢).

قال الفضيل بن عياض: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك:٢) أخلصه وأصوبه. قالوا يا أبا علي مـا أخلصه وأصوبه. قال: إن العمـل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا.

والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة.

وذلـك تحقيق قولـه تعالـى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2] (الكهف:١١٠).

---

(١) انظر بحث الدولة السعودية والمنهج السلفي نشأة وتطبيقًا. أ.د. محمد بن سعد الشويعر ١٧٦٩/٤ ضمن ندوة: السلفية، المنعقدة في جامعة الإمام، عام ١٤٣٣هـ.

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٣/١.

المبحث الرابع: مظاهر عناية المملكة بالسنة النبوية.

المطلب الأول: إنشاء الكليات والأقسام العلمية الخاصة بالسنة النبوية.

المطلب الثاني: إنشاء مركز خدمة السنة والسيرة النبوية وطبع ونشر المصنفات والكتب الخاصة بهما.

المطلب الثالث: استحداث جائزة عالمية خاصة بالسنة والسيرة النبوية.

المطلب الرابع: إفساح المجال للعلماء في الحرمين الشريفين لشرح السنة وتبيين أهميتها وضرورة تمسك المسلمين بها.

المطلب الأول: إنشاء الكليات والأقسام العلمية الخاصة بالسنة.

لقد سعت الجامعات في هذا البلد المبارك لإعطاء السنة المطهرة والسيرة النبوية الشريفة المكانة اللائقة بهما، وعيًا من القائمين على هذه الجامعات بأهميتها في تأسيس نهضة الأمة على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهكذا أنشئت كليات خاصة بالسنة النبوية، كما الحال في الجامعة الإسلامية التي كانت سباقة إلى العطاء العلمي المرتبط بالسنة المطهرة، ففي عام ١٣٨٤هـ. تم ضم دار الحديث المدنية التي تأسست عام ١٣٥٠هـ.، إلى الجامعة الإسلامية، لتواصل عطاءها ويلتحق خريجوها بكليات الجامعة، لينهلوا من العلوم الإسلامية المختلفة قبل أن يرجعوا سفراء خير إلى مجتمعاتهم، وفي عام ١٣٩١هـ. تم ضم دار الحديث المكية للجامعة الإسلامية؛ لتطوير الدار التي أنشئت قبل أكثر من ٧٥ عامًا، وفي عام ١٣٩٦هـ. أنشأت الجامعة كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، التي تهدف إلى العناية بالسنة النبوية، وخدمتها والمحافظة عليها، والذّب عنها، وتأهيل المتخصصين المتمكنين من علومها. مع الإلمام بالعلوم التي تساعدهم على ذلك.

وبدورها سعت باقي الجامعات السعودية إلى الاضطلاع بدور بارز في خدمة السنة المطهرة؛ ففتحت أقسامًا للسنة النبوية وعلومها، التي اعتنت من خلالها بالسنة المطهرة، اعتناءً كبيرًا تمثل في وضع المقررات، وتسجيل الرسائل العلمية في مجال السنة والسيرة النبوية[1].

المطلب الثاني: إنشاء مركز خدمة السنة والسيرة النبوية وطبع ونشر المصنفات والكتب الخاصة بهما.

بناءً على حرص المملكة بالسنة والسيرة النبوية، تكملة لاهتمامها بكتاب الله تعالى. صدر الأمر الملكي عام ١٤٠٦ه بإنشاء مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، تحت إدارة الجامعة

(١) انظر بحث جهود المملكة العربية السعودية في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، أ.د. عماد بن علي الشدي ص٢٢.

الإسلامية بالمدينة المنورة. بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ويهدف المركز إلى خدمة السنة والسيرة النبوية. في مجالاتها الواسعة وعلى الأخص:

١- جمع وحفظ الكتب المخطوطة والمطبوعة والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية وتيسيرها للباحثين.

٢- إعداد موسوعة في الحديث النبوي، وموسوعات أخرى في خدمة السنة والسيرة النبوية، وفقًا للخطط التي يضعها مجلس المركز.

٣- تحقيق ما يمكن من كتب السنة والسيرة النبوية، وإعداد البحوث العلمية التي تخدم السنة والسيرة النبوية.

٤- ترجمة ما تدعو الحاجة إليه من كتب السنة والسيرة النبوية، وما يتعلق بها.

٥- رد الأباطيل ودفع الشبهات عن ساحة السنة والسيرة النبوية.

٦- نشر الأعمال المنجزة في المركز، في مجال التأليف والتحقيق والترجمة.

٧- التعاون مع المراكز والهيئات والمؤسسات العلمية، التي تعمل في خدمة السنة والسيرة النبوية، داخل المملكة وخارجها، فيما يخدم المركز وتحقيق أهدافه.

٨- الاستفادة من خبرات ذوي الشهرة العلمية في السنة والسيرة النبوية.

٩- الاستفادة من الحاسوب في جمع السنة، وبرمجة المعلومات المتعلقة بها وبعلومها[١].

المطلب الثالث: استحداث جائزة عالمية خاصة بالسنة والسيرة النبوية

فإن من مظاهر عناية المملكة بالسنة النبوية: مبادرة الأمير نايف بن عبد العزيز رحمه الله في استحداث جائزة للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

وإن تخصيص هذه الجائزة للسنة له مؤشراته ودلالته الخاصة والعامة، فهو ينبئ عن شخصية فذة محبة للسنة النبوية، مدركة لأهميتها في معالجة القضايا والنوازل والأحكام المستجدة.

وإن هذه الجائزة جائزة عالمية تقديرية، تمنح بصفة دورية كل عامين في مجال من مجالات خدمة السنة النبوية، وتهدف إلى:

(١) انظر: بحث عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله بعقيدة السلف، أ.د. محمود بن عبد الرحمن قدح ٢٢٢٨/٤ ضمن ندوة السلفية، المنعقدة في جامعة الإمام، عام ١٤٣٣هـ.

١- تكريم أصحاب الجهود المتميزة في خدمة السنة النبوية.

٢- تشجيع الباحثين وترغيبهم في خدمة السنة النبوية، في مجالات التحقيق والتدريس وفي المجال التقني.

٣- تعريف الأجيال بالجهود المعاصرة والمتميزة في خدمة السنة النبوية[١].

المطلب الرابع: إفساح المجال للعلماء في الحرمين الشريفين لشرح السنة وتبيين أهميتها وضرورة تمسك المسلمين بها.

منذ أن قامت هذه البلاد المباركة على يد الملك المؤسس عبد العزيز رحمه الله عنيت الدولة بالحرمين الشريفين، وتسابق الملوك في تهيئتها للحجاج والعمار والزوار والمصلين عمومًا. إن من حيث التوسعة، وتأمين الراحة، بالإضافة إلى إقامة الدروس العلمية لتوعية الحجاج والزوار والطالبين للعلم في الحرمين الشريفين؛ ففتحت المجال أمام العلماء في نشر علوم الكتاب والسنة وشرحها وبيان أهميتها والتمسك بها.

لقد اجتمع الملك عبد العزيز عند وصوله مكة المكرمة بالعلماء، وشد من أزرهم، وطلب منهم الاهتمام بتعليم الناس أمر دينهم، ونشر العقيدة الصحيحة ودحر البدعة.

فأقام هيئة للتدريس بالمسجد الحرام، وقدم للعلماء والمدرسين الدعم المادي والمعنوي، في سبيل محاربة الجهل ونشر العلم.

وتدخل الحرمين الشريفين فتجد حلقات العلم في ساحاته وأروقته، منتشرة تغص بطلاب العلم يُدرّس بها علماء كبار. فما تجد حصوة أو رواقًا ليس فيه حلقة من حلقات الدروس الدينية واللغوية وغيرهما. والتي من ضمنها دروس في السنة النبوية وشرحها وأخذ الإجازات فيها. بالإضافة إلى التحذير من مخالفتها والخروج عن هديها.

وقد كان لدروس الحرمين أثرٌ كبيرٌ في توعية المسلمين وإرشادهم، ودعوتهم للتمسك بالسنة والتحذير من مخالفتها، وهذا كله ببركة الدولة السنية التي جعلها الله راعية للحرمين الشريفين حصنًا حصينًا ضد البدع والخرافات بإذن الله تعالى.

الخاتمة

- إن القرآن والسنة هما مصدر التشريع في ديننا الإسلامي وإن العناية بهما حقّ على كل مسلم.

(١) انظر بحث جهود المملكة العربية السعودية في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم. أ.د. عادل بن علي الشدّي ص١٩.

– وسخــر الله في هذا العصــر المملكة العربية السعودية لبذل الجهــود العظيمة في العناية بهما.

– بدأً من جعلهما أساسًا لدستور الحكم في البلاد.

– الحــث علــى نشر العلم بهما في جميع المناحي إن فــي التعليم العام أو التعليم الجامعي أو إنشاء الكليات والمعاهد المختصة بهما.

– بــذل الجهود في طباعة المصحف الشريف، وإنشــاء مركز خاص بذلك، مع تأمين كل ما يلزم من آلات وكوادر علمية؛ للخروج بأفضل الطبعات وأنقاها وأبعدها عن الخطأ.

– التشجيــع على البحوث والدراسات فــي القرآن والسنة، وطباعتها وتوزيعها على المسلمين في العالم.

– إجراء المنافسة في حفظ القرآن وخدمة السنة، وتعيين جوائز تحفيزية لذلك.

– إفساح المجال لعلماء الحرمين بإقامة الدروس والندوات العلمية، التي تنشر علوم القرآن والسنة.

فجــزى الله خيرًا حكام هذه الدولة ببركة خدمــة القرآن والسنة، ووفق جميع المسلمين في نصرة هذا الدين إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع

١– الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الكتاب العربي عام ١٤١٩هـ..

٢ □١٤٢٣هـ.–
١٩٩٢م.

٣– إرشــاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٤– الإســلام في السياسة الخارجيــة السعودية، عبد العزيز حســن الصويغ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٢م.

٥– إعــلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي– الدمام، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ..

٦– البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، قام بتحريره د. عمر سليمان الأشقر، وراجعه د. عبد الستار أبو غدة، ومحمد سليمان الأشقر.

٧- تسهيل الوصول إلى الرسالة المختصرة في الأصول، عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة الأولى عام ١٤٣٢هـ..

٨- توجيه النظر إلى علوم الأثر، طاهر الجزائري طبع مصر عام ١٣٢٨هـ..

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، دار الميمان، الطبعة الثانية عام ١٤٣٦ه.

١٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.- ١٩٩٤م.

١١- جريدة الوسط، العدد (٦) بتاريخ ١٤١٢/٩/٥هـ. الموافق ١٩٩٢/٣/٩م.

١٢- الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، الصادر عن الأمانة العامة للمجلس الأعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

١٣- جهود المملكة العربية السعودية في نصرة النبي ﷺ - أ.د. عادل بن علي الشّدي.

١٤- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: محمد الشثري، الطبعة الأولى.

١٥- الدولة السعودية والمنهج السلفي نشأة وتطبيقا أ.د. محمد بن سعيد الشويعر، بحث مقدم لندوة (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) في جامعة الإمام عام ١٤٣٣هـ.

١٦- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٧- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت.

١٨- السنة: عبد الله بن أحمد، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى.

١٩- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥هـ.- ١٩٨٥م.

٢٠- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الصديق- السعودية- الطبعة الأولى عام ١٤٣٤هـ.- ٢٠١٣م.

٢٢- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الصديق- السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣هـ.- ٢٠١٢م.

٢٣- شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي، مكتبة العبيكان- الرياض عام ١٤١٣هـ.- ١٩٩٣م.

٢٤- شعب الإيمان، البيهقي، الدار السلفية- بومباي عام ١٤٢٩هـ.

٢٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري مطبوع مع فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث- القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ه- ١٩٨٦م.

٢٦ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢٧ - عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بعقيدة السلف، أ.د. محمود قدح، بحث لندوة (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) في جامعة الإمام، عام ١٤٣٣هـ.

٢٨ - عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، منشورات دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٢هـ.

٢٨ - القاموس المحيط، الفيروزآبادي.

٢٩ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، القاسمي، طبع البابي الحلبي، عام ١٣٨٠هـ.

٢٩ - لمحات في علوم القرآن، أ.د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٣٠ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣١ - المستصفى، الغزالي، تحقيق: حمزة حافظ.

٣٢ - المسند، أحمد بن حنبل.

٣٢ - المصباح المنير، الفيومي، مكتبة لبنان.

٣٣ - مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، السيوطي، دار النفائس - الكويت.

٣٤ - مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم- دمشق، الطبعة الثالثة، عام: ١٤٢٣.

٣٥ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، طبع البابي الحلبي - مصر.

٣٦ - نشرة التوثيق التربوي عن وزارة المعارف العدد ٤٣-٤٤ سنة ١٤١٣هـ.

سعدية زكريا عبدالله محمد
أستاذ مساعد– قسم العقيدة – كلية أصول الدين– جامعة أم درمان الإسلامية – جمهورية السودان

مفهوم الوسطية في الإسلام

مستخلص البحث:

أحمـد اللّه تبارك وتعالى وأثني عليه بما هـو أهله، وأستغفره وأستهديه وأتوب إليه وأؤمن به وأتـوكل عليه، وأشهدُ أن لا إله إلا اللّه وحـده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُ اللّه ورسولُه،الداعـي إلى الصراط المستقيـم، غير صراط المغضوب عليهـم ولا الضالين، وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أمَّا بـعْد:

فـإنَّ الإســلام الحنيف هو خاتم الأديـان والرسالات الإلهية، تميز منـذ ظهوره بالتوسط والاعتـدال والسماحة واليسر ودفع الحــرج والمشقة في جميع شرائعه وأحكامه، سواء في العقيدة والعبـادة والأخلاق والمعاملات أو العلاقات الاجتماعية والإنسانية، لذا اجتذب هذا الدين السمح أنظـار المعتدليـن في المشـارق والمغارب، وما يـزال يتكاثر أتباعـه، السبب الـذي جعل أعداءه يحقـدون عليه ويكيدون له المكائد، ممـا جعل الأمّة الإسلامية ولاسيما فـي وقتها الحاضر تعيش ضعفاً ظاهراً في كثير من ديارها وأحوالها، ومن أظهر مظاهر الضعف التي ظهرت، ظهور طرفي الإفـراط التفريط، والغلو والجفا، فنشـأت جماعات التكفير والهجـرة، وانطمست عندهم معالم التوحيـد وحقيقة العبـادة، فكان لابد من الرجوع واتباع المسلك الوسـط الذي يكون باقتفاء الأثر وتبيين الصراط المستقيم، فالوسطية بمعناها الإسلامي الخالص والأصيل تمثل السمة التي تعد بحـق أخص ما يختص به منهج الإسلام في الفكـر والحياة، وفي قرآءة التاريخ والحاضر وكذلك في استشراف المستقبل، إلّا أن ذلك لا يعني الخلاص من إشكالية تحديد المراد من هذا المفهوم؛ فمفهوم الوسطية يعتبر من أكثر المفاهيم تعقيداً وكلية؛ وهو من مفاهيم الفكر الإسلامي التي علا شأنهـا في العقدين الأخيرين، وأصبح إلى جانب مفهوم الاعتدال حديث الخاص والعام واستعمله كثيـر ممن ينتسبـون إلى الفكر الإسلامي، والسياســي والعلم الشرعي، وأصبـح شأنه كشأن كثير مــن المصطلحات التي لا اتفاق حول مدلولها،كلٌ يعطيه معنى مُغاير للآخر،بل تستخدم الوسطية أحيانًا لتمرير بعض المفاهيم الخاطئة، وتلبيس الحق بالباطل، أو توظَّف لأغراض ظاهرها الدين

وباطنهـا غيـر ذلك. إنَّ هذا الأمر يُشعرنا بالمسؤولية اتجاه حمايـة معاني الوسطية وتعزيزها في أوسـاط المجتمعات الإسلامية، موصولا فـي ذلك بما أقرته أصول الإسـلام ومصادره الأساسية لتكون طريقًا لحماية الأمَّة.

ومـن هنـا كان من المهم أن أخصص هذا البحث للحديث عن مفهـوم الوسطية على ضوء المصـادر الشرعيـة، ليسهم في تجلية مفهوم هـذا المصطلح، وبغرض رفـع الخلاف القائم في اختيار الصيغة النهائية لهذا المفهوم ورفع الجدل القائم حول تطبيقه، ومنعاً للخلط في المفاهيم واللبس في التصورات، كما ستتناول الدراسة الضوابط الشرعية للوسطية والمبادئ التي بها تحقق غاياتها وتثبت أنها لا تخضع للأهواء ولا للرغبات. وسلكت في ذلك المنهج التحليلي الوصفي، وقد تكون البحث من ثلاثة مباحث، أولها: تعريف الوسطية والاعتدال لغة واصطلاحًا، وثانيها: مصادر استمداد الوسطية في الإسلام، وثالثها: ضوابط الوسطية في الإسلام.

مستخلص البحث:

جـاءت الدراسة بعنوان مفهوم الوسطيـة في الإسلام (المفهوم واللقـب، مصادر استمداد الوسطيـة في الإسلام، ضوابـط الوسطية في الإسلام، خصائص الوسطيـة في الإسلام)، حيث تناولت الدراسـة الوسطية والاعتدال موضحة مفهومهما، وعرفـت الوسطية بتعريف يشمل جميع التعريفات مع الإلتزام بالشروط والضوابط التي تُقيد هذا التعريف وتُحدده في نطاق معين يميزه عن غيره ويمنع غيره من المصطلحات من التشابه معه كمصطلح، مشيرة كذلك إلى أنه مصطلح قديم وليس حادث.

وبينت الدراسة أن للوسطية الإسلامية جميل الخصائص وعظيم السمات والتي تجلي صور سماحـة الإسـلام وتبرز محاسن هذا الدين،كما أن تحديدها ضـروري لِتَميزِها عن غيرها، ولئلا تكون مجالاً لأصحاب الأهواء والشهوات.

كما عرضت الدراسة المصادر التي استمدت منها الوسطية في الإسلام. وتوصلت الدراسة إلـى أن الوسطية في الإسلام لاتخضع للأهواء والرغبات، فليست تنصلاً من الثوابت والمقومات، ولا تحرراً عن المبادئ والغايات، فإن لها ضوابط شرعية ومبادئ بها تحقق غاياتها.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية والاعتدال

تعريف الوسطية والاعتدال في اللغة:

الوسطية لغة:

جاءت الوسطية في اللغة بعدة معانٍ، لكنها متقاربة في مدلولها عند التأمل في حقيقتها ومآلها، فالوسطية مأخوذة من مادة (وسط)، وقد جاءت في اللغة على شكلين: الأول: (وسْط) بسكون السين: وهو ظرف (مكاني) بمعنى (بين) ، كما قال ابن منظور في لسان العرب:(وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزان نظيره في المعنى وهي (بين) ونقول: جلس وسط القوم؛ أي بينهم، وحفر بئراً وسْطَ الحديقة».[1]

والثاني: (وسَط)؛ بفتح السين:وتأتي: لمعان متعددة متقاربة، فتكون:

١. اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو منه.فتقول:قبضت وسَط الحبل،وكسرت وسَط القوس،وجلست وسَط الدار.

٢. تأتي بمعنى (خيار، وأفضل، وأجود)، فأوسط الشيء (أفضله، وخياره) كوسط المرعى خير من طرفيه، ووسط الدابة خير من طرفيها لتمكن الراكب[2].

٣. وتأتي (وسط) بمعنى: (عدل) كما قال ابن فارس[3] «الواو والسين والطاء بناء صحيح يدُلُّ على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه[4]. وفي لسان العرب: ووسط الشيء وأوسطه أعدله[5].

وفي القاموس: الوسط: محركة من كل شيء أعدله[6]، وكذا جاء في الصحاح.

٤. وتأتي (وسط) بمعنى الشيء بين الجيد والردئ. يقال: شيء وسط: أي بين الجيد

---

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ،جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج٧، ص٤٢٨. وينظر أساس البلاغة: جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٤١ه=١٩٢٣م)، ج٢،ص ٥٠٥.

(٢) ينظر لسان العرب، ج٧، ص(٢٧-٢٨) وص (٤٢٤-٤٣٠).

(٣) أبو الحسين أحد بن فارس بن زكريا الرازي، ولد بقزوين وأقام بالري، كان إماماً في اللغة وفي علوم شتى، أعطى اللغة جُلَّ همه إلى أن أتقنها، وصار فيها إماماً، وألف فيها المؤلفات المتعددة، من أهم مؤلفاته (معجم مقايس اللغة)، و(الجمل)، (حلية الفقهاء توفي سنة٣٩٠ه بالري. ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ،بيروت، ١٩٠٠م، ج١، ص١١٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣هـ = ١٩٧٩م)، ج٦، كتاب الواو، باب (الواو والسين) ، ص ١٠٨.

(٥) ينظر لسان العرب، مرجع سابق ،ج٧، ص ٤٣٠.

(٦) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، ج٢، ص ٤٠٥. والصحاح، ج٣، ص١١٦٧.

والرديء[1].

قَالَ بعض علماء اللغة: الفَرْق بَين الوَسْط والوَسَط: أَن مَا كَانَ يَبِينُ جُزء من جُزْء فَهُوَ وَسْط، مِثل الحَلْقة من النَّاس، والسُّبْحة والعِقْد. قَالَ: وَمَا كَانَ مُصْمَتاً لَا يَبين جزءٌ من جُزْء فَهُوَ وَسَط، مثل وَسَط الدَّار والراحةِ والبُقعة وَقد جَاءَ فِي (وَسط) التسكين[2].

وبهذا نرى أن مادة (وسط) في اللغة تدل على معان متقاربة، وكيفما تصرفت هذه اللفظة، نجدها لا تخرج في معناها عن معاني: العدل والفضل والخيرية والتوسط بين شيئين والأجود، والأفضل، وما بين الجيد والرديء، والمعتدل، وبمعنى الحسب والشرف.

فتقول: (أَوسط) الْقَوْم أي صَار فِي وَسطهمْ. (الوسط)؛ أي: المتوسط بين المتخاصمين. (وَسطه) جعله فِي الْوسط وقطعه نِصْفَيْنِ وَجعله وَسِيطًا.

(الْأَوْسَط) المعتدل من كل شَيْء. (الموسط) موسط الْبَيْت مَا كَانَ فِي وَسطه خَاصَّة. و(التوسط): بين الناس من الوساطة. (الوساطة) (فِي القانون الدولي الْعَام) محاولة دولة أَو أَكثر فض نزاع قَائِم بَين دولتين أَو أَكثر عَن طَرِيق التفاوض الَّذِي تشترك هِيَ أَيْضا فِيهِ. (الْوُسْطَى) من الْأَصَابِع مَا بَين السبابَة والبنصر.

و (الصَّلَاة الْوُسْطَى) الْعَصْر لتوسطها بَين صَلَاتي النَّهَار وصلاتي اللَّيْل وَقيل الصَّلَاة الْوُسْطَى الفضلى وفسرها بَعضهم بغير ذلك. و(التوسيط)؛ أي: تجعل الشيء في الوسط. و(وسوط الشمس): توسطها السماء.

و(واسطة القلادة) الْجَوْهَر الَّذِي فِي وَسطهَا وَهُوَ أَجودهَا وَمَا يتَوَصَّل بِهِ إِلَى الشَّيْء[3].

وصفوة القول في الفرق بين الفتح والتسكين في كلمة)وسط(: إن كل موضع يصلح أن يكون فيه كلمة) بين(فهو ساكن، وإلا فهو متحرك، وقد يكون كل واحد مكان الآخر .ومن خلال ماسبق اتَّضح لنا المعنى اللغوي لكلمة)وسط(، وما تصرّف منها، وأنها تئول إلى معان متقاربة. ويخلص إلى أنّ للوسطيَّة إطلاقين لُغويين:

اطلاقاً مادياً حسيًّا، وهو كون الشيء في وسط له طرفان؛ كوسط الدار، وهذا يقع بين طرفين أو أطراف مُتقابلة.

---

(١) ينظر القاموس المحيط، ج٢، ص٤٠٦، ولسان العرب، ج٧، ص(٤٢٩-٤٣٠). والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية ،بيروت ،ج٢، ص٦٥٨.

(٢) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج١٣، ص٢١.

(٣) ينظر الصحاح،ج٣،ص١١٦٧.ولسان العرب ج٧، ص٤٢٩.والمعجم الوسيط ج٢،ص١٠٣١.والقاموس المحيط،ج٢، ص٤٠٦.

واطلاقـاً معنويًّـا، وهو كون الشـيء أفضله، وأعدله،،وأخيـره وأجوده، وهذا يقـع غالباً بين ضدين مذمومين، متميزاً عنهما بأفضليته وجودته، وقد يكون له ضد واحد، كالعدل مع الظلم[1].

ثانياً: الاعتدال لغة:

الاعتدال لغة: من العدل، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، وأيضاً العدل هو القصد في الأمور؛ أي التوسّط فيها وعدم مجاوزة الحدّ[2] فهو مرادف للاقتصاد.

والاعتدال: توسّط حال بين حالين في كمّ أو كيف،كقولهم: جسم معتدل بين الطول و القصر ، وماء معتدل بين البارد والحارّ، ويوم معتدل طيّب الهواء، وكلّ ما تناسب فقد اعتدل،وكلّ ما أقمته فقد عدلته[3].

والعـدول: هـم الخيار. وذكر فـي القاموس المحيط من معانـي العدل والاعتـدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط.

ثانياً: تعريف الوسطية والاعتدال في الاصطلاح:

الوسطية اصطلاحاً:

ينبغـي أن تُستحضـر المعانـي اللُغوية السابقـة للوسطية عند محاولـة تحديد المراد من هـذا المصطلح، ولا بد من معرفة معنى الوسطية في الاصطلاح، وذلك أن بعضهم يفهم منها أنه الوسط بين الطرفين دوماً وهذا ليس بصحيح بل هو أعم من ذلك فيأتي لمعان أخرى منها:

- العـدل والخيار،كمـا فـي قولـه تعالـى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[4]، فهنـا وسطـا ليست بمعنى أن هذه الأمّة في المنتصف بين باقي الأُمم؛ لأن هذه الأمّة آخر الأمم، كما قال النبيﷺ: «نحن الآخرون السابقـون يـوم القيامة»[5]، وإنما المقصود بها أن هذه الأمّة أمّة وسط؛ أي خيار عدول، يتصفون

(١) ينظر الوسطيةٌ في القرآن الكريم:علي محمد محمد الصَّلَّابي،مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، عين شمس، ط١، (١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م)، ص١٥ .ومفهوم الوسطية عند السلف الصالح: شمس الدين يابي، رسالة ماجستير ، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، ٢٠٠٤م، ص٣.

(٢) المصباح المنير،ج١،ص٥٥. ولسان العرب، ج٩، ص٨٥. والقاموس المحيط، ج٢، ص٢٠ . والصحاح، ج٥، ص١٧.

(٣) ينظر مقاييس اللغة، ج٤، ص٢٤٦. ولسان العرب، ج١١، ص٤٣٠.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٤٣.

(٥) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة،

بوصف العدالة في أنفسهم وهم عدل في أحكامهم على غيرهم، وعدول في عدم التعدي عليهم في حقوقهم الشرعية في أموالهم وأعراضهم ودمائهم.

– وتأتـي بمعنى الأمر الذي يكون بين الجيد والـرديء، وبالتالي فالجيد هنا يكون أفضل من الوسط، ومن ذلك قوله تعالى[1]: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ أي مـا بيـن الجيد والـرديء والأعلى والأدنـى على أحد التفسيرين للآية، وبعضهم جعل الوسط هنا بالمعنى الأول وهو الأجود والأفضل[2].

هكـذا ارتبط مفهوم مبدأ الوسطية بالاعتدال والخيريـة والعدل والتوسط وكل هذه الدلائل صحيحة، لأنها تنطلق من المعني المراد في معاجم اللغة العربية.

الاعتدال اصطلاحاً:

الاعتـدال هو: التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريـط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط. والاعتدال هـو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية. وبهذا فـإن الاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بهـا هذه الأمّـة، قال تعالـى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾.

وقد فسر الرسول ﷺ هذا بقوله: (والوسط: العدل) ومن معاني العدل والوسط: الخيار. ولا يتحقـق الاعتدال في الاعتقـاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلَا بالتـزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين.

ومن خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي للوسطية والاعتدال نعرف ما يلي :

أنَّ الوسطية والاعتدال مفهومان مترادفان .

أنَّ الوسطيـة هـي اختيار الافضل بين الخيرين، او اختيار الخير فـي مقابل الشر،ولكن وفق الضوابط الشرعية التي سيأتي الحديث عنها.

أنَّ الوسطيـة تقـع بين الإفـراط والتفريـط لأنّ التطرف فيـه معنيان أحدهمـا تطرف نحو الإفـراط، وتطـرف نحو التفريط؛ أي بالزيادة والنقصان يتحقق مفهـوم التطرف، والوسطية تقع

= ج٢،ص٢، حديث رقم٨٧٦.

(١) سورة المائدة: الآية: ٨٩ .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم: أبي الفداء إساعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا،القاهرة، ط١، ج١، ص٢٧٥.

بينهما، أي بمعنى عدم تجاوز الحد لا زيادة ولا نقصانًا.

الوسطية والاعتدال عند العلماء والمفكرين المسلمين:

لقد تعـددت تعريفات الوسطية عند العلماء والمفكريـن المسلمين وهي تتقارب في معانيها وإن اختلفت ألفاظها، وفيما يلي أبرزها:

قال يوسف القرضاوي: الوسطية هي: «التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيـث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابـل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف»[١].

ويلمـح صاحب الظلال إلـى وسطية الأمة بالشهـادة على الأمم الأخـرى، وبيَّن ملامح هذه الوسطيـة ومجالاتها فقال: «هي أمّـة وسط: في التصور والاعتقاد.. وفـي التفكير والشعور.. وفي التنظيم والتنسيق.. وفي الارتباطات والعلاقات.. وفي المكان والزمان... [٢].

وعرفها السديس: بأنها «الاعتدال والقصد في تحقيق شريعة الله فهمًا وسلوكًا»[٣].

وقـال وهبة الزحيلي: «الوسطية في العرف الشائع فـي زماننا تعني الاعتدال[٤] في الاعتقاد والموقـف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعنـي أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانـح ولا مفـرط فـي شيء مـن الحقائق، فليس فيـه مغالاة في الديـن، ولا تطـرف أو شذوذ في الاعتقـاد، ولا تهـاون ولا تقصير، ولا استكبـار ولا خنوع أو ذل أو استسـلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى ولا حقوق الناس، وهـو معنـى الصـلاح والاستقامة، ولا تعصب ضد الآخريـن ولا رفض لهم، ولا إكـراه أو إرهاب أو ترويـع بغير حق، كما لا إهمال في دعوة النـاس إلى دين التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة منعًا مـن التفريط بواجب تبليغ أو نشـر الدعوة الإلهية، وحبًا في إسعـاد البشرية قاطبة وإنقاذهم من الكفـر والضلالـة والانحراف»[٥]. كما قال أيضًـا: « إنّ الوسطية تعني أيضـاً الجمع بين الماديات والروحانيات وهي ميزة الإسلام، لأن الإنسان جسد وروح، وله حوائج مادية وروحانية، ولأن العمل

---

(١) الخصائص العامة للإسلام: يوسف االقرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٠٤ه=١٩٨٣م)، ص١٢٧.

(٢) خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب، دار الشروق، مصر،١٩٩٧م، ص٥٤.

(٣) ينظر كتاب بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس،ط٣، (١٤٣٨ه-٢٠١٧م) ، مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية ، الرياض، ص٢٣

(٤) أي الاستواء والاستقامة، يقال اعتدل من الركون، أي استقام واعتدل المناخ أي صار الجو لطيفا لا حر « فيه ولا برد .

(٥) وسطية الإسلام وسماحته: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، المكتبة الشاملة، ص٧.

الصحيح يكون للدنيا والآخرة.كما تعني كذلك عدم التعمق أو الإغراق في الدين، أو الاسترسال في الروحانيات والتصوف، أو الإقبال الشديد على الدنيا وزخارفها وشهواتها، لقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[١]. وقوله أيضًا: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ فِي الدِّينِ فإنّ الله تعالى قَدْ جَعَلَهُ سَهْلًا، فَخُذُوا مِنْهُ مَا تُطِيقُونَ، فإنَّ الله يحب ما دام من عمل صالح، وإن كان يسيراً»[٢]. هكذا نجد أنّ الدين الإسلامي قد ذمَّ التشددّ والمغالاة في أمور الحياة واعتبره بأنه إحدى طرق الضغط غير المباشر على الأفراد للخروج عن الطريق الصحيح، وأنّه وسيلة أو أداة لإرهاق المجتمع المسلم وإضعافه.

وجاء في تعريف الوسطيّة أيضًا بأنها: تصوّر الإسلام للمناهج والمواقف التي تواجه الانسان باعتدال، والسعي لتحرّي الصواب دون تشددّ أو انحلال لكن باختيار الحل الأوسط بينهما. وتُعنى وسطية الإسلام بتحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة؛ أي انتقاء الحل الذي يحقّق رضا الله سبحانه وتعالى ويتفق مع واقع الأفراد، ويشترط أن تكون الأمور دائمًا موافقةً للشرع بالدرجة الأولى.

ذكر الشرباصي[٣] تعريف الوسطية بأنها: تجنب الإنسان الميل يميناً وشمالاً وإن فعل ذلك فقد توسط واعتدل، لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة ، والخيار هو الوسط [٤].

وقيل أيضاً أن الوسطية هي: الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين افراط وتفريط او غلو وتقصير ، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة.

وعرفها آخرون بأنها: مفهوم جامع لمعاني العدل والخير والاستقامة؛ فهي حقٌّ بين باطلين، واعتدال بين تطرفين، وعدل بين ظلمين، وهي عبارة عن وسيلة أو أداة جمع لعناصر الحق والعدل، فبجمعها هذا تقف موقفاً لم يسبق وجوده من قبل، وتعمل على توضيح رؤية الأفراد للأمور على حقيقتها باعتبارها منظارًا يفتح العيون لتوضيح هذه الرؤية، والتمكين من إبصار الإسلام على حقيقته[٥].

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي،ج١، ص٥٢٢، حديث رقم٢٦٨٠.

(٢) ضعيف الجامع الصغير وزيادته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ج١ ،ص٣٢٣ ،رقم٢١٩٥. ضعيف ولكن يعمل به في فضائل الأعمال.

(٣) الشرباصي: أحمد الشرباصي رجل دين وخطيب مصري من مواليد بلدة البجلات بمركز دكرنس مديرية الدقهلية ، تخرج من كلية اللغة العربية ثم نال درجة التخصص منها https://ar,m,wikkpedia.

(٤) موسوعة أخلاق القرآن: أحمد الشرباصي ، ط ٤ ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٤٨ هـ ، ص ٩٩ .

(٥) مفهوم الوسطية والاعتدال: جيهان عادل حجاحجة. https://mawdoo3.com/%D9% تم الاطلاع عليه يو الاثنين =

وقالت نادية عمارة: «إن مفهوم الوسطية يعني العدل والاستقامة والخير والأمان، وأن الإسلام اتخـذ في جميع عباداته ومعاملاته وفي كافة ما دعا إليه مـن فضائل ومكارم موقفًا سمحًا وسطًا بعيـداً عـن التعنت والتزمت، وأضافت: إنه دين اعتدال وقسـط وعدل ويدعو في كافة مجالاته إلى الالتزام التام بالتعاليم الشرعية والتقاليد الصحيحة المرعية دون تشدد أو تسيب أو إهمال»[١].

ويرى عمارة الوسطية نوعًا من التوازن في كل شيء، وهي لا تعني -كما يشير الدكتور عمارة- شيئًا هلاميًّا، بل هي الموقف الأصعب [٢].

مما سبق من تعريفات لغوية واصطلاحية يمكن للباحث أن يعرف الوسطية بأنها:

مفهوم جامع لمعاني العدل والخير والاستقامة، فهي الاستقامة على ما جاء به القرآن وما أقرتـه السنة الصحيحة ولو جاء على خلاف الأهواء. فالوسطيـة هي الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا روغان، ولا مداهنة أو تملق للانحرافات التي وقعت في تاريخ الأديان أو عند المتدينين سواء من أهل الإسلام أو من لدن من انحرفوا وحرفوا ما جاء به الأنبياء الذين سبقوا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. وهي ليست وسطية فلسفية، كما هي عند أرسطو الذي تعني الوسطية عنده، تداخـل الشيئين؛ لكي يتكون منهما في النهاية شيء آخر ثالث، يلغيهما، ويقف بدلًا منهما. ولكنها تعنــي انتقاء الحل الذي يحقّق رضـا الله سبحانه وتعالى ويتفق مع واقع الأفراد، ويشترط أن تكون الأمور دائمًا موافقةً للشرع بالدرجة الأولى.

المبحث الثاني

مصادر استمداد الوسطية في الإسلام

إن مـن الضـرورة بمكان تحديـد هذا المصطلـح على ضـوء المصادر الشرعيـة، ومعرفة المصادر التي تُستمد منها الوسطية؛ منعًا للخلط في المفاهيم واللبس في التصورات، وحتى نقف علـى حقيقة الوسطية؛ لنظهر الصورة المشرقـة لسماحة هذا الدين، في الوقت الذي اشتدت فيه الحملة على الإسلام ورمي أتباعه بمصطلحات موهومة، وألفاظ مغرضة، لتشويه صورته والتنفير منه.

إن مصـادر استمـداد الوسطية في الإسـلام هي القـرآن الكريم والسنة النبويـة المشرفة والإجماع. وسنقف على هذه المصادر بشيء من التفصيل.

=٢٩/١٠/٢٠١٨الساعة ١٠:٤١ مساءًا.

(١) في محاضرة ألقتها بعنوان (الإسلام دين الوسطية والاعتدال) في مركز سلطان بن زايد للثقافة، ٢٠١٢/٨/٣. https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports

(٢) معالم المنهج الإسلامي: محمد عمارة ،القاهرة ، دار الشروق، ٢٠١٠م، ص ٢.

أولاً: القرآن الكريم:

هو المصدر الأول من مصادر استمداد الوسطية في الإسلام، وقد وردت الوسطية بمعانيها الصريحة في عدة مواضع وبألفاظ مختلفة في القرآن الكريم، لتدل في مجملها على مشروعية الوسطية، كما وردت بالفاظ تدل ضمنياً على مشروعيتها سواء كانت الآيات في جانب العقيدة أو العبادة أو المعاملات أو السياسة أو الحكم أو بقية مناحي الحياة المتعددة.

لقد وردت مادة وسط في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة حيث وردت بلفظ (وسطاً)، (الوسطى)، (أوسط)، (أوسطهم)، (ووسطن).

أولاً: (وسطاً): كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، فكلمة وسطاً في هذه الآية تحمل معاني الخيرية والعدالة، والتوسط بين الإفراط والتفريط، وعلى هذا فسرها أهل التأويل رحمهم الله:

يقول ابن جرير الطبري: « الوسط في هذا الموضع هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين. وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهب وقولهم في عيسى ما قالوه فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله عز وجل أوسطها[(١)].

ومن هنا فإن معنى الآية:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾؛ أنكم لما اتبعتم الطريق المستقيم واتبعتم الوحي الرباني صرتم وسطاً، واتباع الوحي يجعل الإنسان وسطاً، فإذا انحرف عنه فلا يكون وسطاً، وإنما يكون إما في طرف الإفراط، أو في طرف التفريط .

والوصف بالوسطية ليس معناه: أن الإنسان ينظر في طرائق الناس ومناهجهم ثم يتخذ وسطاً من عنده، ويقول: هذا هو الوسط، أي: في النصف، فلا يأتي إلى الوسط بين هذا المنهج وبين هذا المنهج ويقول: هذا أحسن شيء فأتبعه. وإنما المقصود بالوسطية هنا: إخبار الله عز وجل بأن هذه الأمّة لما اتبعت الصراط المستقيم – وهو كلام الله عز وجل، وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم– صارت أمةً وسطاً بذلك. فالوسطية في اتباع النصوص وليست في النظر إلى مذاهب الناس واختيار مكان معين منها بالهوى. وبعض الناس مثلاً يقول: لا بد أن تكون وسطاً مع الكفار، فلا تصير متشدداً مثل الذين يريدون جهاد الكفار، ولا تصير متساهلاً مثل الذين يوالون

(١) تفسير الطبري، ج٣، ص١٤٢.

أعـداء الله، وإنمـا كن وسطـاً، يعني: لا تجاهدهـم ولا توالهم، وإنما تبقى بينـك وبينهم علاقات ومـودة طيبة، وهذا الاختيار باطـل، لأنه ليس وسطاً، وإنما هو انحـراف، فليست الوسطية اختيار الإنسان للمكان الذي يريد بين الأهواء والآراء، وإنما هي اتباع ما أمر به الله سبحانه وتعالى وأمر بـه رسولـه ﷺ. وكذلك فسر ابن كثير هذه الآية فقال: «و لما جعـل الله هذه الأمّة وسطاً، خصّها بأكمل الشرائع، وأقوم المفاهيم، وأوضح المذاهب [1].

ويقـول سيد قطب في تفسيـر الآية: وإنها للأمّـة الوسط في التصور والاعتقـاد، أمّة وسطا فـي التفكيـر والشعور، أمّة وسطا فـي التنظيم والتنسيـق، أمّة وسطا في الارتباطـات، أمّة وسطا فـي الزمان،أمّـة وسطا فـي المـكان[2]. ويقول السيـد رشيد رضا: هـو تصريح من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[3] أي علـى النحو مـن الهداية. ﭽجعلناكم وسطاﭼ قالـوا: إن الوسـط هو العدل والخيار. وذلك لأن الزيادة علـى المطلوب في الأمر إفراط، والنقص فيـه تقصيـر وتفريـط، وكل من الإفـراط والتفريط ميل عن الجـادة القويمة، فهـو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما [4].

ويقـول عبد الرحمـن السعدي في تفسير هذه الآية إن معنى وسطـاً: «أي عدلاً خيرا، وماعدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمّة وسطاً في كل أمور الدين، في الشريعة؛ لا تشديدات كتشديدات اليهود وآصارهم، ولاتهاون كتهاون النصارى، وفي باب الطهارة والمطاعم؛ لا كاليهـود الذيـن لاتصح لهم صلاة إلّا في بيعهم وكنائسهم ولايطهرهم الماء من النجاسات، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون ولايحرمون شيئا»[5].

هذه هي أهم أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، ومن خلال هذا التفسير يتبين لنا منهج القـرآن في تقرير الوسطيـة. فالوسطية في الشرع تعني الاعتدال والتـوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة.

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج١، ص٤٤٥.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ج١، ص١٣١.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢١٣.

(٤) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب،١٩٩٠م، ج٢، ص٥.

(٥) تفسير السعدي، ج١، ص١٥٧. وينظر العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء ، الرياض، ط٢، ١٤١٢ ه، ص٧. والوسطية في ضوء القرآن الكريم، الصلابي، ص ٣١. ودور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٨ه، ص ٣٨.

- وكذلـك من الآيات التي تـدل على الوسطية، قوله تعالـى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١] ووجـه دلالـة الآية: أن سبحانة وصـف الصـراط المستقيم بأنه غير صراط المغضوب عليهم، وهـم اليهود أهل الغلو في الدين ، وغيـر صراط النصارى وهم اهـل الافراط في الدين. فإذا كان الصـراط المستقيم غير صراط المغضـوب عليهم ولاالضاليـن ، وكان صراط اليهود والنصارى صراط غلـوا في الدين، دلَّ ذلك علـى أن الصـراط المستقيم صراط لاغلو فيه. فهو بين طرفين: افـراط وتفريط، وهذا هو معنى الوسطية التي هي منهاج الدين الإسلامي[٢].

ثانيـاً: (الوسطـى): ومـن ذلـك قولـه تعالـى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ ولقد ذهب المفسرون عدة مذاهب في تفسير كلمة (الوسطى) حيث ربط البعض هذا الوصف بالخيرية والفضل متتبعاً ما جاء في تفضيل بعض الصلوات على بعض، بينما ذهب البعض إلى ربط الوسط بالموقع أي ذلك الواقع بين جانبين متساويين في العدد أي الصلاة التي تقع بين صلاتين من كل جانب وهي في هذه الحالة صلاة العصر[٣]. وفي كلتا الحالتين يظهر الارتباط بين كلمة الوسطى كما وردت في الآية وبين مفهوم الوسطية الذي هو موضوع البحث.

ثالثاً: (فوسطـن): ومـن ذلـك قولـه تعالـى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾[٤]؛ أي: دخلـن به وسط العدو[٥].

قال الرازي: «صرن بعدوهن وسط جمع العدو[٦].

وقال بعضهم: أي: توسطن بذلك الوقت، وتوسطن متلبسات بالنفع جمعاً من جموع الأعداء، أو صرن بعدوهن وسط جمع الأعداء. يقال: وسطت المكان؛ أي: صرت في وسطه [٧].

(١) سورة الفاتحة: الآية: ٧ .

(٢) ومما سبق نجد أن الاستشهاد بآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ على معنى وسطية الإسلام، استدلال صحيح، خلافاً لمن منع الاستدلال بها على معنى وسطية الاسلام، كحبنكة الميداني وغيره ينظر وسطية الإسلام: عبد الرحن حسن حبنكة الميداني،مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١،(١٤١٦هـ=١٩٩٦م)، ص(٩-١٠). بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المحور الأول: أدلة الوسطية في القرآن والسنة:محمد بن عمر بازمول، ص١٧.

(٣) ينظر تفسير الطبري، ج٢، ص٥٦٧. وزاد المسير: ابن الجوزي، ج١، ص(٢١٤-٢١٥).

(٤) سورة العاديات: الآية: ٥.

(٥) معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء(البغوي)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ج٤،ص٥١٨.

(٦) تفسير الرازي، ج٣٢، ص٢٦١.

(٧) ينظر تفسير الطبري، ج ٢٤، ص٥٦٤. وتفسير ابن كثير، ج٨، ص٤٦٥.

ومن ذلك قوله ﷺ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ»(١)، فأراد بالوسط ما بين الحافتين والطرفين.

رابعاً: (أوسط): الشيء بين الجيد والرديء، أو الأرفع والأدنى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾(٢)، على تفسير من قال: إن المراد بالأوسط هنا: الشيء بين الجيد والرديء(٣)، كما قال ابن عباس في رواية عنه: كان الرجل يقوت أهله قوتًا دونًا، وبعضهم قوتًا فيه سعة، فقال الله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الخبز والزيت(٤). ويقول سيد قطب: «(وأوسط) تحتمل من (أحسن)، أو من (متوسط)، فكلاهما من معاني اللفظ، وإن كان الجمع بينهما لا يخرج عن القصد، لأن المتوسط هو الأحسن، فالوسط هو الأحسن في ميزان الإسلام(٥).

وفسر بعضهم: «أوسط» في الآية بأنه: الأعدل والأمثل، فتكون الآية على هذا التفسير مندرجة تحت المعنى الأول الذي هو «العدالة والخيار والأجود»(٦).

خامساً: (أوسطهم): وجاءت في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾(٧). وقد ذكر المفسرون أن معناها من التوسط في المكان، وهذه جملة من أقوالهم: ذهب غير واحد من المفسرين أن كلمة (أوسط) تعني: أعدلهم وأعقلهم وأمثلهم يقول صاحب التحرير والتنوير: «فالوسط هو العدل والخيار»(٨). ويقول الطبري: «وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، و ذلك معنى الخيار من الناس عدولهم»(٩).

وترتبط الوسطية كذلك بمعنى الاستقامة على الدين وعلى النهج الذي جاء به محمد ﷺقامة كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ

(١) سنن الترمزي،كتاب أبواب الأطعمة، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الأَكْلِ مِنْ وَسَطِ الطَّعَامِ،ج٤،ص٢٦٠، حديث رقم ١٨٠٥.

(٢) سورة المائدة: الآية:٨٩.

(٣) تفسير الطبري، ج١٠،ص٥١٣.

(٤) سنن ابن ماجه:ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي،كتاب الكفارات، باب مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ،ج١، ص٦٨٢، حديث رقم٢١١٣.

(٥) ظلال القرآن: سيد قطب، ج٢، ص٩٧١.

(٦) ينظر مفاتيح الغيب للرازي، ج١٢، ص٤٢٠.

(٧) سورة القلم: الآية: ٢٨.

(٨) التحري والتنوير: ابن عاشور،ج٢٩، ص٨٦.

(٩) تفسير الطبري، ج٢٣، ص٥٥٠.

﴿بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(١).

ثانياً: الأدلة من السنة:

جاءت السنة النبوية شارحة للقرآن الكريم ومبينة له، ولقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسطاً بين الإفراط والتفريط، وجاءت سنته القولية والعملية والإقرارية في أمور الدين والدنيا تكرس منهج الوسطية والاعتدال، وقد وردت كلمة وسط ومُشتقاتها في سياق عدة أحاديث نبوية شريفة، وفي جميعها لم تخرج عن المعنى المقرر آنفاً، والذي أجمع عليه علماء اللُّغة والتفسير. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ماجاء في الصحيح عن ابن سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عَنْ أَبِي سَعِيد، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لأُمَّته: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا منْ نَبيٍّ، فَيَقُولُ لنُوح: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذكْرُهُ: وَكَذَلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ» (٢) والشاهد؛ قوله ﷺ «الوسط العدل» فالوسط في هذا الحديث فسّر هنا بالعدل، وهو المقابل للظّلم، حيث إن أمّة محمد، ﷺ شهدوا بما علموا، وهو الحق، فلم تكن شهادتهم لهوًى مع نوح عليه السلام - وحاشاهم من ذلك - ولم يشهدوا مع قوم نوح بالباطل، وأنّى لهم ذلك، وهذا هو العدل، لأنَّ الظّلم له طرفان والعدل وسط بينهما، فالشَّهادة مع أحد الخصمين بدون حق ظلم، والشّهادة بالحقّ دون النّظر لصاحبه عدل،فأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ممّن قال الله فيهم:﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ (٣)

- وقوله ﷺ: «إنَّ في الجَنَّة مائَةَ دَرَجَة، أَعَدَّهَا اللَّهُ للْمُجَاهدينَ في سَبيلِ اللَّه، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّة وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّة»(٤). قال الحافظ ابن حجر: قوله: أوسط الجنة أو أعلى الجنة، المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل،كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾(٥).

---

(١) سورة النحل: الآية: ٧٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى:(إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه) ،ط١، ج٤،ص١٣٤،حديث رقم٣٣٣٩.

(٣) سورة الأعراف:الآية:١٨١.

(٤) صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير، بَابُ دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه،ج٤،ص١٦،حديث رقم٢٧٩٠.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،أخرجه وصححه: محب الدين الخطيب ، ج٦،ص١٣.

وقال ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ» والوسط هنا: نقطة الالتقاء بين أطراف متساوية. أو هو أشبه ما يكون بمركز الدّائرة ومنتصفها. ولا شك أنَّ وسط القصعة أجودها، وأكثرها بركة.

– وقوله ﷺ: « حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ» [٦]، أَيْ خَيْرُهَا. يُقَالُ: هُوَ مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ: أَيْ خِيَارِهِم [٧].

– حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيد قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَالِدًا يَذْكُرُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٨]»[٩]. وقد تقدم تقرير وصف ما كان عليه النبي ﷺ بأنه الصراط المستقيم، وأنه يقتضي معنى الوسطية التي بين طرفي التفريط والإفراط. والوسط هنا: هو ما كان بين عدَّة أطراف والمسافة بينه وبين كل طرف متساوية[١٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَسِّطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ»[١١]؛أي اجعلوه وسط الصّف – في منتصفه– من أمامه، بحيث يكون طرفا الصّفّ متساويين بالنّسبة لموقف الإمام.

– عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيَّ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّائِمَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ... » [١٢]. والوسط هنا ما بين أجود الغنم وبين السيئ والمعيب،

---

(٦) سنن بن ماجة، باب بر الوالدين، ج٢، ص١٢٠٨، حديث رقم٣٦٦٣

(٧) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير،المكتبة العلمية ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي بيروت،(١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م) ، ج٥، ص١٨٤.

(٨) سورة الأنعام:الآية:١٥٣.

(٩) سنن ابن ماجه، باب اتباع سنة رسول الله ،ج١ ،ص٦، حديث رقم١١.

(١٠) وسطية أهل السنة بين الفرق: محمد باكريم محمد باعبدالله، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، (١٤١٠هـ =١٩٩٤م)، ص٢٠.

(١١) سنن أبي داوود،كتاب الصلاة، باب مقَام الْإِمام من الصَّفِّ،ج١، ص١٨٢،حديث رقم ٦٨٢.

(١٢) السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط٣، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م)، باب لا يأخذ السَّاعِي فيما يأخذ مريضاً، ولا معيباً، في الإِبلِ عدد الْفَرْضِ صحيح،ج٤، =

وهو مثل قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

هـذه بعض الأحاديـث التي وردت وفيها لفـظ (الوسط)، وفيها ما ورد فيهـا الوسط بمعنى الوسطيَّة، ومنها ما ليس كذلك، إذ لا تلازم بين (الوسط) و(الوسطيَّة)، فكل وسطيَّة فهي وسط، ولا يلـزم مـن كل وسط أن يكـون دليلاً على الوسطيَّة، فقـد يكون من الوسط المكانـي أو الزّماني ونحوه[1].

وهنالك أيضاً الكثير من الأحاديث التي تدل على أمر النبي بالوسطية ولكن دون وجود لكلمة الوسطية أو مشقاتها، نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر:

– عـن أنـس بن مالـك رضي الله عنه يقول: «جَـاءَ ثَلَاثَةُ رَهْـطٍ إِلَى بُيُـوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُـونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُـمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِـرَ لَـهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَـا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّـا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَـدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُـومُ الدَّهْـرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَـالَ: «أَنْتُـمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَـذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّـي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّـي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّـي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[2]. ووجه الدلالة: أن الرسول بين أنَّ التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى.

وقال بن حجر العسقلاني: « قوله: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» المراد بالسنة: الطريقة، التـي لاتقابـل الفرض، والمراد من ترك طريقي وأخذ بطريقة غيـري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريـق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا في التشديـد، كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفـوه بما التزموه، وطريقة النبي الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيـام، ويتـزوج لكسر الشهوة وتكثير النسل.كما أن الأخـذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطـع لأصلها، وملازمة الاقتصار علـى الفرائض مثلاً، وترك التنفل يفضـي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة، وخير الأمور الوسط»[3].

=ص١٦١،حديث رقم٧٢٧٥.

(١) الوسطية في القرآن: محمد الصلّابي، ص٣٢. ومن خلال ما سبق يتَّضح أن كلمة (وسط)، تستعمل في معانٍ عدَّة أهمّها: (بمعنى الخيار والأفضل والعدل– قد ترد لما بين شيئين فاضلين– وكذلك لما كان بين شرّين وهو خير–وتستعمل لما كان بين الجيّد والرديء، والخير والشّرّ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج٧، ص٢،حديث رقم ٥٠٦٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري:أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، اخراجه وصححه: محب الدين الخطيب ج٩، ص(١٠٥–١٠٦).

وفي هذا تأكيد على خط الاعتدال الذي هو سِمَة هذا الدين في مواجهة من أرادوا أن يختاروا طرفاً واحداً على حساب الطرف الآخر، فردهم النبي ﷺ إلى حد الاعتدال وهو الوسط بين الطرفين.

تأمل دعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[1] إن هذا الدعاء يكشف عن توازن عجيب بين الدين والدنيا، فهو لا يطلب الحياة الدنيا على حساب الآخرة ولا الآخرة على حساب الدنيا، ونجد مصداق هذا في دعاء القرآن في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]، فلا تفريط ولا إفراط إنما هو وسطية واعتدال، هذا ما يشعر به كل من يستبطن الآيات القرآنية ويطلع على سنة النبي ﷺ.

– وعن أَبِي هُرَيْرَة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[3] ومعنى هذا كما فسره شراح الحديث بقولهم: أي الزموا التوسط في العبادة، أو المعنى: الزموا القصد في العمل وهو استقامة الطريق والأمر الذي لا غلو فيه ولا تقصير، فحينها تبلغوا المنزل الذي هو مقصدكم. ويدل على مثله أيضًا قول النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[4]. وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»[5].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»[6]؛ أي أن هذا الدين فيه من السماحة واليسر بحيث إنه من أراد التشدد فيه سيغلبه هذا التشدد وسينحرف عن الطريق المستقيم، فإن هذا الدين يحاجه بالرجوع إلى المنهج المعتدل في ذلك.

– قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا.[7] المتنطعون هم –كما قال شراح

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوُّذ من شر ماعمل ومن شر ما لم يعمل ،ج٤، ص٢٠٨٧، حديث رقم٢٧٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٠١.

(٣) صحيح البخاري، ج٨، ص٩٨، حديث رقم ٦٣٦٤.

(٤) سنن الترمذي،كتاب المناسك.بَاب قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ، ج٢، ص١٠٠٨، حديث رقم٣٠٢٩.

(٥) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، ج٢٠، ص٣٤٦، حديث رقم ١٣٠٥٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج١، ص١٦، حديث رقم٣٩.

(٧) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ج٤،

الحديث المتعمقون المغالون المجاوزون في الحدود في أقوالهم وأفعالهم. والحديث ظاهره خبر عن حال المتنطعين، إلا أنه في معنى النهي عن التنطع وهو دليل على أن التوسط والاعتدال في الأمور هو سبيل النجاة من الهلاك؛ فإنه إذا ذم التنطع وهو المغالاة والمجافاة وتجاوز الحد في الأقوال والأفعال، فقد دل على أن المطلوب هو التوسط، وذلك متصور في الطرفين؛ فمثلا في شأن الدنيا فمن تشدد في طلبه والسعي ورائه دون الآخرة فقد تنطع في طلبها، وهلك من تشدد في مجافاتها والغلو في تركها والبعد عنها، فقد تنطع وهلك والتوسط بينها هو المطلوب.

كذلك من الأدلة التي تدل على اعتبار الشرع لهذا المنهج المعتدل في جميع الأحوال ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»[1]. وكذلك لما أرسل عليه الصلاة والسلام مُعاذًا وأبا موسى الأشعريَّ إلى اليمن بالدعوة إلى الله عزَّ وجل وبيان الدين لأهل اليمن قال لهما: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»[2]. في منهج نبوي متكامل ؛ لأن التيسير على الناس مقصد من مقاصد الشريعة .

– و أخرج الإمام مسلم عن معاذ أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ، فقال لي: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

ونستخلص من استقراء مختلف السياقات القرآنية والحديثية وما أُثر عن السلف وما حكاه أهل التفسير السابقة، شدة اعتبار الشرع المطهر ، واعتبار الصحابة والسلف إلى تأصيل معنى الوسطية ، والاهتمام بهذا المنهج.

ص٢٠٥٥، حديث رقم ٢٦٧٠.

(١) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب مُبَاعَدَته ﷺ للآثام واختياره من المباح، ج٤، ص١٨١٣، حديث رقم ٢٣٢٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالاخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، ج٤، ص٦٥، حديث رقم ٣٠٣٨.

المبحث الثالث

ضوابــط الوسطية

لقد تعددت مجالات الوسطية في الإسلام فشملت جميع مناحي الحياة من عقائد وعبادات، وأخلاق ومعاملات. وتعتبر الوسطية بالنسبة للأمّة الإسلامية دليل وهداية بها تحقق غاياتها دون افراط أوتفريط، كما أنها للمجتمع أمان وضمان من الغلو والتطرف؛ وذلك أن الوسطية مضبوطة بالضوابــط الشرعية، فللوسطية ضوابط تقوم عليها، وجملة مــن الدعائم الفكرية تبرز ملامحها وتحدد معالمها ومنطلقاتها وأهدافها ومن أهمها:

أولاً: اعتمادها على النصوص والأدلة الشرعية:

أ. القرآن الكريم:

يعتبــر القــرآن الكريم المعيــار الأول الذي يضبــط الوسطية، وميزان الحكــم على القضايا والمواضيــع، ومنهــا نستلــم شهــادة القبــول أو الرفض، وهــو المصــدر الرباني الــذي تكفل الله بحفظــه عل مَر الأيــام والأزمان، قال تعالــى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، وقد تكفــل الله بهدايــة مــن اتبعه، أمّا مــن أعرض عنه فليس لــه إلا الضلال ، فهو حبــل الله الممدود بينــه وبين خلقه، ولاطريــق إليه سواه. وقد أوجب الله تعالى علينــا الرجوع إليه: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[2]، وأمــا الذين لايسيــرون وفق توجيهاته فإنهم يبتعدون بذلــك عن اليقين ويسترشدون بالظنون، والقرآن الكريم يشرح بعضه بعضًا، ولاتعارض أو اختلاف فيه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[3] . وعلى ذلك فكل مظهر وكل توجه خالف نصًا من القرآن الكريم، ارتضاه من ارتضاه، لايكون إلا انحرافًا عن الوسطية والاعتدال ومصدراً للشر والفساد لبني البشر، وإن حكمت عليها العقول القاصرة بالخير والصلاح [4].

إن الله تبــارك وتعالى وهــب العقل خاصية استحسان الحسن واستقبــاح القبيح، وان الخلق مفطــورون علــى ذلك. قــال ابن القيــم: «فــإن الله سبحانه فطر عبــاده على استحســان الصدق

---

(١) سورة الحجر: الآية :٩.

(٢) سورة الشورى: الآية:١٠.

(٣) سورة النساء : الآية:٨٢.

(٤) ينظر الوسطية في الإسلام،مفهومها وضوابطها: فريد هادي،ص٣٩.تحقيق الوسطية والاعتدال:عبدالرحمن السديس،ص٧٣،٧٧

والعـدل والعفــة والإحسان ومقابلة النعـم بالشكر، وفطرهم على استقبـاح أضدادها، ونسبة هذا إلــى فطرهم وعقولهم كنسبــة الحلو والحامض إلى أذواقهم، وكنسبة رائحة المسك ورائحة النتن إلــى مشامهــم، وكنسبة الصوت اللذيذ وضــده إلى أسماعهم، وكذلــك كل مايُدركونه بمشاعرهم الظاهــرة والباطنــة، فيفرقون بين طيبــه وخبيثه،ونافعه وضاره»[1] بيد أنّ مــن الأمور ما لا يمكن للأفـراد من الخلق إدراك حقيقــة الوسطية فيها، فكان حتمًا ولزامًا الرجـوع إلى الشارع الحكيم فـي ذلك إن نصًا فنص، وإلا فبالرجوع إلى الأشبـاه والنظائر، فقد يبدو للمرء الشيء ويستحسنه فـإذا الخير والصلاح والوسطية في ضده، وقد يَسْتقبـحُ أحدُنا الشيء ويستنكف عنه وإذا بالخير وكل الخيـر فـي إتيانـه وامتثاله. فحيثمـا كان النص الشرعـي وكانت الآية والحديـث الثابت عن رسـول اللهﷺ، فثـم الخيـر والعـدل الوسطيــة. وحيث لم يكـن شيء فهنـا يلحق الشبيــه بشبيه والنظير بنظيره والمثيل بمثيله، مع اصطحاب سمات الوسطية- من موافقة الفطرة، ورفع الحرج واختيــار الأيســر مع رفع العدل والحكمــة. ومن اشتبه عليه شيء فليَكلْه لعالمــه وأهل الحل والعقد فيــه، فهــم أخبر بحقيقة الوسطية فيــه، ولا يخبط فيه خبط عشواء، خاصة فيمــا يتعلق بالصالح العــام، ومسائل الأمّــة، قال تعالــى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2]. وملخـص ماسبق أن الوحي بمميزاته المشار إليها سابقًا يشكل المعيار والضابط الحقيقي للوسطية، وهو المرجع الأصلي الذي يضبط حركــة الإنســان ووجهته في الحياة، لذا نجد أن الرسول ﷺ يقـول لمن سأله عن طريق الخلاص مــن فتن قابل الزمان: «كِتَابُ اللّه فيه نَبَأُ مَــا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بالهَـزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللّه، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى في غَيْرِه أَضَلَّهُ اللّه، وَهُوَ حَبْلُ اللّه الْمَتِيــنُ، وَهُــوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّــرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذي لاَ تَزِيغُ بِــهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ به الأَلْسِنَــةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ[3] عَلَى كَثْــرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذي لَمْ تَنْتَهِ الجِــنُّ إِذْ سَمِعَتْــهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَــى الرُّشْدِ﴾ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق:محمد المعتصم بالله البغدادي،دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، (١٤١٦هـ=١٩٩٦م)،ج١، ص٢٤٥. وينظر درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، (١٤١١ هـ =١٩٩١م).

(٢) سورة النساء : الآية:٨٣.

(٣) يخلق: من خلق الثوب إذا بلي، أي لاتزول لذة قرآءته وتروق تلاوته.

عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1].

ب.السنة النبويــة:

مــن المعلوم أن تعريف القرآن بالأحكام الشرعيــة أكثره كلي لاجزئي ويحتاج إلى الكثير من البيــان، وسنــة النبــي صلى الله عليه وسلم إنما هــي بيان للكتاب فلا يمكن الاكتفــاء بالقرآن دون السنــة فهما حلقة واحــدة، فالسنة النبوية بيان أعلم الخلق بالخالــق وكتابه العزيز، فالابتعاد عن السنة والاعتماد على الفهم الشخصي للقرآن دون الاستعانة بالسنة مُبْعِد للإنسان عن الكثير من الحقائــق التي تحيط بالآيات القرآنية، والظــروف التي نزلت فيها، والمناسبات التي حكمت فيها. لقد جاءت النصوص تلزم باتباع الرسول، وجاء الأمر بطاعته ﷺ معطوفًا على طاعة الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[2] وغيرها من الآيات، بل اعتبر المولى عزَّ وجل طاعة الرسول من طاعتــه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[3]. فالمرجــع الأساســي في حسم الأمور وتبيين الصحيح من الخطــأ عند الإختلاف هو الله ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[4]. فالسنــة بيان تفصيلــي لكتاب الله تعالى الذي حوى بين دفتيه الدين كاملاً؛ فقد جاء في القرآن الأمر بالصلاة وجــاءت السنة بتفصيل ذلــك. وجاءت في السنة الصحيح صلاة السفــر فوجب الأخذ بها وإن لم يذكر في القرآن شيء بشأنها.

هكذا فحيثما كان النص الشرعي وكانت الآية والحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فثم العدل والخير والوسطية.

ثانياً: موافقتها لمنهج السلف الصالح:

السلــف الصالح هم الصحابة الكرام ومن تبعوهــم بإحسان، وأئمة الأمّة العظام من أعلام القــرون الثلاثــة الأُول، والتي هــي خير القرون، بنص حديــث النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيــنَ يَلُونَهُــمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَــادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[5].

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن، ج٥ ،ص٢٢، حدريث رقم٢٩٠٧. وقال الألباني «ضعيف» . ولكن لامشكلة في أخذة في فضائل الأعمال

(٢) سورة آل عمران: الآية:٣٢.

(٣) سورة النساء : الآية:٨٠.

(٤) سورة النساء : الآية:٥٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النَّبِيِّ ﷺ ، ج٥، ص٣، حديث رقم٣٦٥١

فالسلف هم خير الناس فهمًا لنصوص الكتاب والسنة، وهم أعلم الخلق بأحكام الشريعة؛ وذلك لقرب عهدهم بالوحي، وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة، وكانوا أعلم الناس بلغة العرب. فإن أجمعو على شيء فالوسطية في إجماعهم، وإن اختلفوا فلا تخرج عن أقوالهم.

إن الوسطية الحقة تمثلت في حياة السلف قولاً وعملاً؛ لأنهم تعلموا قبل أن يقولوا ويعملوا، فمن أراد اتباعهم فعليه بأهل العلم وأتباعهم. فهم أشد الناس اتباعًا لسنة النبي، وابعدهم عن الهوى واعمال الرأي، بل كانوا يذمون أهل الأهواء والآراء،؛ لأنهم ينحرفون عن وسطية الدين الإسلامي بمخالفتهم سنة النبي واتباعهم أهواءهم، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1].

لذلك كان من شروط وضوابط الوسطية في الإسلام: أن توافق ما كان عليه السلف الصالح في القواعد والكليات؛ لأن الجزئيات لا حصر لها، فإن وقع ما يخالف منهج السلف الصالح في ذلك فهذا دليل على أننا لم نصب الوسطية؛ إمّا لسوء في الفهم أو خلل في التطبيق، أو في الأمرين معًا، فقد كانوا يأخذون من كل شيء بقسط لاميل فيه، فيحصلون على التوسط والاعتدال، وكان ذلك عندهم أصلاً يرجع إليه[2].

ثالثاً: مراعاتها لمقاصد الشريعة:

إن المقاصد الشرعية هي جملة ما أراده الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية، كمصلحة الصوم والتي هي بلوغ التقوى، ومصلحة الجهاد والتي هي رد العدوان والذب عن الأمّة، ومصلحة الزواج والتي هي غض البصر وتحصين الفرج وإنجاب الذرية وإعمار الكون. وهذه المصالح كثيرة ومتنوعة، وهي تجتمع في مصلحة كبرى وغاية كلية، هي: تحقيق عبادة الله، وإصلاح المخلوق، وإسعاده في الدنيا والآخرة[3].

هكذا جاءت الشريعة الإسلامية لتحقق مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، والتمسك بها إقامة للمصالح، والبعد عنها بعد عن هذه المصالح، وقد راعت الوسطية الإسلامية جميع هذه المصالح، والمتأمل في أحكام الشريعة يدرك أن التوسط والاعتدال من أهم مقاصدها، وسمة من أهم سماتها، فكل أحكامها تشهد بالاعتدال والتوسط والسماحة، فهي آخذة بزمام الاعتدال والتوازن بعيدة عن طرفي الافراط والتفريط.

(١) سورة القصص: الآية:٥٠.

(٢) ينظر كتاب بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال: عبدالرحمن السديس،ص(٧٨-٧٩).

(٣) مقاصد الشريعة: ابن عاشور، ص٥١.

ومـن هنا فإن الوسطية من أهـم مقاصد الشريعة الإسلامية، ومراعـاة المقاصد من أهم ضوابط الوسطية في الإسلام، فهما كوجهتي عملة واحدة.

رابعاً: أن يتولى بيان الوسطية أهل العلم المعتبرون :

لقـد أثبتـت الشريعة الإسلامية فضل العلم والعلماء، فالعلمـاء هم ورثة الأنبياء، ولابد ممن تعلـم العلم العمل بمقتضى هذا العلـم، قال النبي «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِـهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِـهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ»[1] فالمقصود الأسمى من العلم: العمل به وتعليمـه، والمقصود الأدنـى أن ينال صاحبه الشرف وإن لم يكن في أصلـه كذلك، فتعليم الناس أُمـور دينهم وتبليغ العلـم الشرعي النافع كانت مهمة الأنبياء، ومـن بعدهم العلماء فهم يبصرون النـاس بأمور دينهـم وينفون عنهم الجهل والزيـغ والانحراف، ويهدونهم إلـى الصراط الستقيم وهـدي النبي ونهـج الصحابة والتابعيـن، وهذه هي حقيقـة الوسطية فإن فعـل العلماء ذلك فقد أنقـذوا النـاس من الضـلال والانحراف غيـر أن في كثير مـن الأحيان، وفي مختلـف المجالات، الدينيـة والدنيوية، العقديـة والفكرية، والاجتماعيـة والمالية، والسياسية تشتبـه الأمور وتختلط الأحـوال وتتداخل الحقائق، وتلتبس المسائل، فلا يقـوى على كشف حقيقة الوسطية إلا اهل العلم المعتبرون، الذين لهم رسوخ في العلم، وقلم صدق في الديانة، من عرف في النـاس بعلمه وامانته وديانته.

لذلـك كان من أهم ضوابط الوسطيـة أن يتولى توضيحها وتحديدها علمـاء الأمة الأثبات، الذيـن نثـق بعلمهم ودينهـم ، وهم أدرى النـاس بآثارهـا وثمارها؛ لذلك كان لا بـد أن تصنع على أعينهـم وتحـت أيديهم ، يضعون ضوابطها وشروطها، ويزنونها بميـزان الكتاب والسنة بما يوافق فهم سلف الأمّة.

الخـاتمة

نحمـده تعالى ونستعينـه ونستهديه، فله الحمد أولاً وأخيراً علـى توفيقه وامتنانه على انهاء هـذا البحث، وبعد هذه الوقفه مـع مفهوم الوسطية والاعتدال وإتمامـاً للفائدة تذكر الباحثة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في هذا الموضوع:

الوسطية الإسلامية هي الفطرة الإنسانية؛ حيث أن الوسطية الإسلامية تمثل السمة والقسمة

(١) سنن ابن ماجة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ج١، ص٩٣، حديث رقم٢٥٣.

التـي تعد بحـق أخص ما يختص به المنهج الإسلامي وقد بلغت هـذا المقام؛ لنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل.

مـن خلال تطرقنا إلى معانـي الوسطية عند أهل اللغة أوتعريفاتها الاصطلاحية، تبين مدى التحـرر لمعنـى الوسطية بأنها تعني العـدل والحق والتوازن بين طرفي الإفـراط والتفريط، وأنها ليست كما يفهمها بعض الناس كونها الإلتقاء مع الباطل في منتصف الطريق، أو الرضى بالحلول الوسط، وأنها لا تعني التشدد والتضييق.

يعد مفهوم الوسطية من المفاهيم الاصطلاحية الشرعية الراسخة في كل مصادر الشريعة، وقـد ذكر العلماء مـن مفسرين وفقهاء عدة تعريفـات واقترحنا تعريفاً يجمع بيـن تلك التعاريف وموضوعات الوسطية الأخرى.

لقـد تبيَّن أنَّ الوسطية تعني التوازن وعـدم الإفراط أو التفريط، كما تعني العدل والسير في صراط اللّه المستقيم، فما ثبت أنه من الدين فهو اليسر وهو الحنيفية السمحة، وهو الذي لا تشدد في أخذه، ولا غلو فيه، ولا عسر فيه.

إنَّ للوسطيـة ضوابـط شرعية ومبادئ بها تحقـق غاياتها وتثبت أنهـا لا تخضع للأهواء ولا للرغبـات، ومن ثم لا ينبغي أن نفهم من الوسطية التسيـب والتساهل وإتباع الأهواء فمقياسها هو الشرع نفسه وأحكامه.

كمـا اتضـح أن الوسطية ليسـت مذهباً أو اتجاهاً جديـداً في الإسلام وإنمـا خصيصة من خصائـص الإسـلام إذا أحسن فهمه،كما أنها ليست صفة ينبغـي أن تحتكرها جماعة أو حركة أو حـزب إسلامـي بل ينبغي أن تكون صفـة الأمة الإسلامية جمعاء حينما تكـون في مستوى ما طلب منها.

نجـد أنّ كثيراً من الكتابات التي تناولت الوسطيـة؛ إنما كانت -في حقيقة الأمر- تتكلم عن خياراتها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية أو الفقهية، ومع ذلك فالكل يعتزي إلى الوسطيـة والكل يستشهد بآية البقرة، وهكذا يقع الخلط، وهو الخلط الذي لم يكن - للإنصاف - من نصيب الوسطية وحدها.

إن مظاهر الانحراف عن الوسطية تفريطًا أكثر بكثير من مظاهر الانحراف غلواً في عصرنا الحاضر.

مالـم ترجـع الأمّة إلى وسطيتها فإنهـا ستفقد شخصيتها، وتكون هملاً فـي الوجود، أو تبعاً وذيلاً للآخرين.

للوسطيــة تأثيرهــا العميق في عقيدة وفكر أبناء المجتمع، والفهــم الصحيح للوسطية يؤدي إلى الإلتزام بالكتاب والسنة، وعدم الخروج عليها والبعد عن البدع والإبتداع في الدين.

وأما التوصيات فيمكن الإشارة إلى الآتي:

لا بد من تصفية مفهوم الوسطية مما علق به ليكون وفق الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمّة، فلن يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أولها. فإن هناك لبسًا في فهم الوسطية وممارساتها من قبل بعض الجماعات والدعاة.

ضــرورة فهم نصوص القــرآن الكريم والسنة النبويــة الشريفة، والتي أســاء البعض فهمها نتيجــة لفصل هذه النصوص عــن الملابسات التي أحاطت بظهور الإســلام وتكالب الأعداء عليه وعدوانهم على أهله.

تحديد المصطلحات والتعريفات الشرعية ودلالاتها؛ لإزالة اللبس الحاصل بشأنها لدى بعض النـاس، مثل: (جماعة المسلمين، الطائفة المنصورة، دار الإســلام، دار الحرب، الولاء والبراء، الجهاد، الحوار، حقوق ولي الأمر وواجباته). وطباعة ذلك في كتاب، وتعميمه بين المسلمين.

الممارسة العملية الواقعية لمنهج الوسطية من قبل العلماء وطلاب العلم والدعاة، مما يتيح للناس أن يروا القدوة الصالحة التي هم في أمس الحاجة إليها. وكذلك عقد الندوات والمحاضرات لبيان مفهوم الوسطية، وأثرها الإيجابي في حياة الناس.

تضميــن المقررات الدراسية فــي المراحل الدراسيــة المختلفة مواضع تركــز على وسطية الإســلام ومفهومه وسماحته وحضارته وسمو شرائعه وتعاليمه ، وتعريف النشئ بمخاطر الارهاب والتطرف ، وخطرها على الفرد والمجتمع.

تفعيــل دور مراكــز البحوث بالجامعــات، ووزارة التربيــة والتعليم في دراســة جميع جوانب الوسطية مع إيجاد أفضل السبل للتعامل معها وفق رؤية علمية.

وأخيــراً أســأل الله تعالى رب العرش العظيــم أن يوفق علماء المسلميــن للهدى والحق، وأن يثبتهم عليه، ويعينهم على نشره ودلالة الخلق إليه، وأن يرد المسلمين للحق رداً جميلا.

فهرس مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب

أساس البلاغة: جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة،(دط)، (١٣٤١هـ=١٩٢٣م).	
الأعلام: خير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.	
الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله المؤلف: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.	
بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط٣، (١٤٣٨هـ=٢٠١٧م).	
تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، ط١٩٩٠،١م.	
تفسير القرآن العظيم: أبي الفداء إساعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، القاهرة، ط١.	
تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.	
الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ.	
خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: سيد قطب، دار الشروق، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (دط)، (دت).	
الخصائص العامة للإسلام: يوسف االقرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م).	
دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق،(دط)، ١٣٩٨هـ.	
زاد المسير في علم التفسير:جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .	

سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي، (دط)، (دت).	
السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنات،ط٣،(١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م).	
صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي، (دط)، (دت).	
العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء ، الرياض، ط٢، ١٤١٢ هـ.	
فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت،(دط)، ١٣٧٩هـ.	
في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، (دت).	
القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، ، (دط)، (دت).	
لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ،جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.	
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، (دت).	
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية ،بيروت،(دط)، (دت).	
معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء(البغوي)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة،بيروت،(دط)، (دت).	
معالم المنهج الإسلامي: محمد عمارة ،القاهرة ، دار الشروق،ط١، ٢٠١٠م.	
معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (دط)، (١٣١٣هـ = ١٩٧٩م).	
النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير،المكتبة العلمية ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي،بيروت، (دط)،(١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).	

	وسطية الإسلام وسماحته: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، المكتبة الشاملة.
	الوسطية الطريق إلى الغد: عبدالله بن عبدالعزيز اليحيي،دار كنوز اشبيليا للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م).
	وسطية أهل السنة بين الفرق: محمد باكريم محمد باعبدالله، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، (١٤١٠هـ =١٩٩٤م).
	الوسطية في الإسلام: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة المهتدين، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).
	الوسطيةُ في القرآن الكريم:علي محمد محمد الصَّلَّابي، كتبة الصحابة ، الإمارات ، الشارقة، وكتبة التابعين، القاهرة، عين شمس، ط١، (١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م).
	الوسطية ومظاهرها في القرآن رسالة ماجستير: عصام صالح أحمد راجح، (١٤٣٨=٢٠١٦م).
	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،(دط)، ١٩٠٠م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية والأوراق العلمية:

1.	الوسطية في السنة النبوية، منال بن عبدالرحمن الدعيجي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة. ورقة علية قدمت ل(أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب).
2.	فوائد الخطاب الوسطي على الفرد والمجتمع: محمد المدني بوساق، بحث مقدم إلى مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الارهاب والتطرف، جامعة نايف، الرياض،(١٤٣٦هـ=٢٠١٥).
3.	الوسطية في الإسلام مفهومها وضوابطها وتطبيقها: فريد محمد هادي عبدالقادر، رسالة ماجستير، (١٤١٠هـ =١٤١١م).
4.	الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة عبدالعزيز عثمان شيخ، الرياض، رسالة ماجستير،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،(١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م).
5.	الوسطية في الإسلام: دراسة في دلالة النص القرآني والحديث النبوي، أمآل السيد حسن علي أبو يوسف، جامعة قنا، السويس، مصر.(أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب).
6.	الوسطية ومظاهرها في القرآن: عصام صالح أحمد راجح، رسالة ماجستير، (١٤٣٨=٢٠١٦م).

رابعاً: الصحف والمجلات الورقية والالكترونية:

.1	الفتوى وأثرها في حماية المعتقد وتحقيق الوسطية: فهد بن سعد الجهني،مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٢٧هـ، العدد٨٠.
.2	الوسطية في مقاصد الشريعة: وليد هاشم الصميدعي ، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، ٢٠١١م، العدد٤٨.
.4	الوسطية لا التميعية:جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي،١٤٢٧هـ، العدد٢٢٦.

خامساً: المواقع الالكترونية:

.1	https://ar,m,wikkpedia
.2	https://mawdoo3.com/%D9%
.3	https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports
.4	https://www.al-qaradawi.net/node/2294
.5	.https://ar,m,wikkpedia
.6	https://mawdoo3.com/%D9%
.7	https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports

مؤتمر دولي

معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه

تنظمه أكاديمية الإمام البخاري الدولية بالتعاون مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الاسطرلاب الدولية

- أمين عام المؤتمر: سماحة القاضي الشيخ سمير كمال الدين
- رئيس المؤتمر: سماحة المفتي الشيخ زيد محمد بكار زكريا
- مدير المؤتمر: أ.د. سعد الدين محمد الكبي
- رئيس اللجنة العلمية: أ.م.د. محمود صفا الصياد العكلا
- رئيس اللجنة التنظيمية: فضيلة الشيخ سامر شحود

مقدمة

لما كانت السنة النبوية المصدرَ الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، واستمداد المفاهيم العقدية والمنهجية.

ولما كان صحيح الإمام البخاري يعدُّ من أصح الكتب المصنفة في السنة النبوية ، والتشكيك فيه يفتح الباب واسعاً للّعب بالسنة النبوية ، وإسقاط أهم مصدر من مصادر استمداد مناهج الأمن الفكري ، ومعالم الوسطية والاعتدال.

لذلك كان الاهتمام به ، بمدارسة أحاديثه ، وتفهّم أبوابه وتراجمه ، وتظهير المعالم المنهجية ، والمفاهيم العقدية المنقولة فيه ، من أهم الأعمال العلمية لتأصيل ورسم معالم المنهج العلمي لأهل السنة والجماعة ، مقارنة مع مدرَستَيِ الإفراط والتفريط في الأمة: الخوارج والمعتزلة.

إشكاليات المؤتمر:

يجيب المؤتمر على الإشكاليات التالية:

- ماهي منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية . وهل يصح التشكيك فيه ، وما هو أثر ذلك على الأمن الفكري.
- هل أصّل الإمام البخاري في صحيحه مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة.
- وهل رد على الخوارج المكفرة الذين لايزالون يظهرون إلى آخر الزمان

- ومـا هو مفهوم الإرجاء ، والفكـر الاعتزالي من خلال الأحاديث والآثار المخرّجة في صحيح الإمام البخاري.
- وهـل يمكـن التوصل إلى رسم محـدّدات ومهدّدات الأمن الفكري مـن صحيح الإمام البخاري.
- وما هي جهود الإمام البخاري في الحفاظ على الأمن الفكري ، والمنهج العلمي لأهل السنة والجماعة.
- وهـل يمكـن أن نستمد معالم الوسطية والاعتدال من أصحّ الكتب المصنفة في السنة النبوية ، لئلا تتجاذبنا الأهواء والآراء.

محاور المؤتمر:

١. منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية ودحض شبه المشككين وأثره في الأمن الفكري.
٢. تأصيل مفهوم الإيمان في صحيح الإمام البخاري وأثره في الأمن الفكري.
٣. تأصيل محددات الأمن الفكري ، ومهددات الأمن الفكري في صحيح الإمام البخاري.
٤. جهود الإمام البخاري في الرد على الخوارج المكفرة.
٥. جهود الإمام البخاري في الرد على المرجئة والمعتزلة.
٦. جهود الإمام البخاري في التحذير من الابتداع في الدين المخل بالأمن الفكري.
٧. معالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه.

أعضاء اللجنة العلمية:

رئيس اللجنة العلمية: أ.م.د. محمود صفا الصياد العكلا

أ.د. إسماعيل غازي مرحبا – جامعة أم القرى

أ.م.د. بشار حسين العجل – جامعة الجنان

د. عبد الرحمن العصيمي

د. شوقي نذير – مركز أمين عقال الجامعي – الجزائر

د. أحمد حنفيش الحمد – جامعة الاسطرلاب الدولية

د. أبو بكر الشهال – جامعة الإمام – الرياض

د. محمود الكبش – جامعة أم القرى مكة المكرمة

د. وسيم عصام شبلي – جامعة الاسطرلاب الدولية

د. وسيم الخطيب – جامعة الاسطرلاب الدولية

فضيلة الشيخ سامي سعيد بكور – أكاديمية الإمام البخاري الدولية

فضيلة الشيخ أحمد إبراهيم الحاج – أكاديمية الإمام البخاري الدولية

فضيلة الشيخ يوسف عبد الحليم طه – أكاديمية الإمام البخاري الدولية

معايير الأبحاث العلمية :

١. أن يكـون البحـث جديـداً غير مقدَّم في مؤتمر سابـق ، ولا منشـور ، أو مستلّ من رسالة جامعية.

٢. أن يكون البحث في أحد محاور المؤتمر.

٣. تقبل أبحاث طلبة الدكتوراه.

٤. لا تقبل الأبحاث الثنائية ، ولا المشاركة بأكثر من محور واحد.

٥. أن يتـراوح البحث ما بين ١٠ إلى ١٥ صفحة بحجم 16Traditional Arabic للمتن ، و ١٤ للهوامش أسفل الصفحة ، ويمنع استخدام الرموز.

٦. إرفاق ملخص عن السيرة الذاتية للباحث مع صورة شخصية حديثة.

٧. تخضع الأبحاث للتحكيم على نحو سري من قبل محكمين جامعيين.

٨. يرسل البحث على البريد الالكتروني بصيغة P.D.F . و وورد.

٩. العناوين البريدية التي ترسل عليها الأبحاث:

١- albahs_alalmi@hotmail.com

٢- Mahmoud.okla@gmail.com

مواعيد مهمة :

- آخر موعد لتقديم ملخصات الأبحاث: ٢٦ رمضان ١٤٤٠هـ ٢٠١٩/٥/٣١
- آخر موعد للإخبار بقبول الأبحاث: ٢٧ شوال ١٤٤٠هـ ٢٠١٩/٦/٣٠
- آخر موعد لتقديم كامل البحث: ١١ محرم ١٤٤١هـ ٢٠١٩/٩/١٠

أيام المؤتمر:

الجمعة ٢٠١٩/١٢/١ استقبال المشاركين ، التسجيل ، الافتتاح ، وقائع جلسات المؤتمر.

السبت ٢٠١٩/١٢/٢ وقائع جلسات المؤتمر.

الأحد ٢٠١٩/١٢/٣ وقائع جلسات المؤتمر ، الجلسة الختامية ، توزيع الشهادات.

رسوم المؤتمر:

٥٠٠ دولار أمريكي (فندق ليلتان ووجبتان يومياً)

٢٠٠ دولار أمريكي (بدون فندق ولا إعاشة)

١٠٠ دولار أمريكي (للمشاركين من الداخل اللبناني)

We publish this thirty-first issue, hoping that official and private Islamic institutions show more interest in scientific research and researchers in order to elevate scientific research to the required level and apply its results and recommendations to achieve development, progress and prosperity of our Islamic world.

Prayers and peace be upon our Prophet, Muhammad, his family and all of his companions.

Editorial

By the editor.

Praise be to the Lord of all worlds. Prayers and peace be upon our Prophet, Muhammad, his family and all of his companions.

As the magazine enters its fourteenth year, the editorial board of the Islamic Scientific Research Journal is pleased to confirm its commitment to its scientific mission and its role in serving the scientific research and researchers and highlighting the efforts of Islamic institutions in the service of research, science and Islamic Da'wah, including:

Highlighting the features of intellectual security from Sharia sources and establishing the concepts of moderation in Islam. In this context, we published in this issue the following research papers:

1- Interpretation of the verses of the great victory of Surah At-Tawbah and its benefits.

2- Highlighting some of Saudi Arabia 's great and numerous efforts in teaching Quran and Sunnah, including but not limited to: the activities of the Ministry of Islamic Affairs, Islamic Universities and its educational outputs, Quran memorization centers spread throughout the Kingdom of Saudi Arabia, the International Competition, the Holy Quran Press, Scientific Research Centers, Conferences and Seminars, etc.

3- Explaining the concept of moderation in Islam, as the liberalization of the concept is an important factor in showing the correct meanings and perception of Islam and its scientific and practical provisions.

4- Announcing the International Conference: the Parameters of Intellectual Security in Sahih al-Bukhari, organized by the International Academy of Imam al-Bukhari, in cooperation with the Faculty of Sharia and Islamic Studies at International Astrolabe University, and sponsored by His Eminence the Grand Mufti of the Lebanese Republic Sheikh Abdul Latif Daryan.

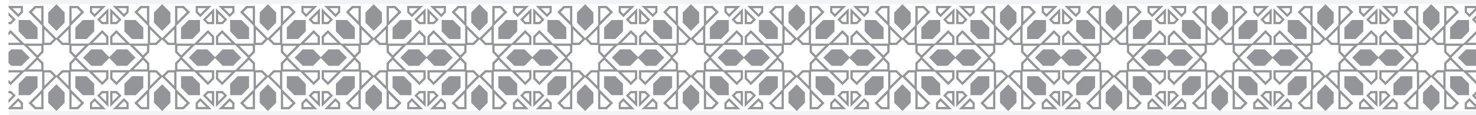


TABLE OF CONTENTS

31th issue – the Forteenth year- 27 Shawal 1440 Hijri
Corresponding the 30/July 2019 G.

The Islamic Academic Quest Journal Publication Guidelines

In the course of providing an opportunity to scholars and searchers to benefit from academic quests and searches, the journal's management is delighted to publish the submitted researches provided that:

1. The research is specialized in a scholarly issue, or an Islamic calamity – a current case accident.
2. The research should be characterized by its academic elements, originality, and seriousness, with authentication of: sources, Hadiths, and verses of Quran.
3. The research should be new and not previously published; it also should not be an extract of a thesis.
4. Works should not exceed 48 pages nor fall behind 16.
5. Paper size should be of an A4, with font size = 16, and a font style of (Traditional Arabic).
6. The work marked by the previously mentioned characteristics should be sent on a CD-Rom to the journal's address.
7. The writer will enclose an English translated abstract of one to two pages.
8. An introduction of the author should be provided alongside his detailed personal address.
9. Works are evaluated by arbiters before publication. The author will be notified about the result of this evaluation.

Please note that:

- It is not necessary that the journal will adopt and publish every work it receives.
- Typescripts of rejected researches will not be returned to their authors.
- Views expressed in the journal represent those of the writers.

PROFESSORIATE CONSULTATIVE MEMBERS

Prof. Dr. Mubarak Ibn Saif Al-Hajiri
Dean of Faculty of Sharia'h in kuwait University

Prof. Dr. Bassam khodor Al-Shatti
A Professor in the faculty of Sharia'h in kuwait University

Prof. Dr. Mahmoud Abboud Harmoush
A Professor in Jinan University - Lebanon

Prof. Dr. AAsem Ibn Abdullah Al Karyuti
A Professor in Muhammad Ibn So'ud Islamic University - Riyadh

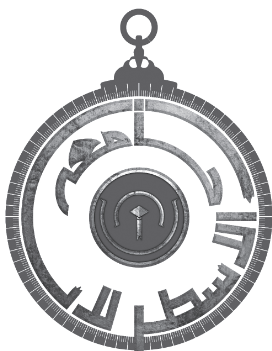
Prof. Dr. Omar Abd-Assalam Tadmury
A formerly Professor in the Lebanese University

Dr. Mahmoud Al-Kabesh
Professor of Fundamentals of Islamic Jurisprudence at Umm Al Qura University

Prof. Dr. Ismail Ghazi Marhaba
Member of faculty of the Faculty of Sharia at Umm Al Qura University, Makkah

Dr. Shawki Nazir
Professor, University of Tamanrasset, Algeria, Editor-in-Chief of Ijtihad for Legal and Economic Studies

In addition to the cooperation of
Professors from the Islamic and the Arabic world





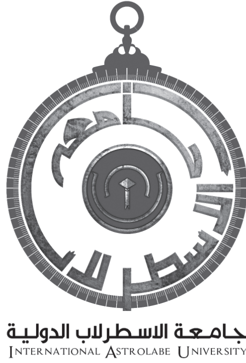
A periodical, Published by **The Central Office For Islamic Quest Journal**

correspondence may be addressed to:
Editor-in-Chief
P.O.Box: 208 Tripoli - Lebanon

Tel-Fax: 009616471788

E-mail: albahs_alalmi@hotmail.com

Order Of Payments To: Bank Al-Barakah - Tripoli - Lebanon - Account No. : 13903





An Islamic Arbitral Periodical (Temporarlly Issued Every Six Months)

31th issue – the Forteenth year - 27 Shawal 1440 Hijri
Corresponding the 30/July 2019 G.

The Islamic Academic Quest Journal

A Periodical Published by:
The Central Office for
ISLAMIC ACADEMIC QUEST

Forteenth **years** **1440H / 2019** **Issue No.: 31**